

١٣٢٧

بيروت غرة رمضان المبارك سنة ١٣٢٧ = الموافق ١٥ ايلول سنة ١٩٠٩

مكة المكرمة والجرائد العربية

كتبها بالتركية الكاتب التركي محمد عالم مدرس مغنيسا

وترجمها بالعربية لمجلة «النبراس» الشيخ محيي الدين الخياط

الجرائد في الدور البائد • الجرائد في الدور البائد كانت صناجة ثناء • الدور البائد كان يسوق الامة الى الهاوية • الدور البائد كاد يحرمها من خاصة التفكر • واجبات الجرائد • الجرائد اسهل وسائل الاتحاد والارتباط • ما يجب عمله ؟ • روح الشورى السارية • اشراط قيام الساعة الانقلابية على رؤوس الظالمين • انين الامة وبكاؤها • فجر تموز • شمس نيسان • الحياة الحقيقية • كل رزايانا ناشئة عن الجهل وعدم الاتحاد • الدور الدستوري عرف بنا الامم جمعاء باننا امة حية متمدنة • الآن اوان الاتحاد • لا عقبة ولا قوة في سبيل اتحادنا ان بيدنا قوة الخلافة • يجب ان نتأثر بتأثر المسلمين كافة • حملة اوربا على الدين وغفلة المسلمين • الاسلام لا يمنع الارتقاء • الاسلام مصدر التمدن الحاضر • الاسلام الحاضر هو الاسلام الغابر • الذنب على المسلمين وليس على الاسلام • اوامر الدين بالصلاة والحج اوامر بالاتحاد • الخطابة في الاسلام اسبوعية • اجتماع اغنياء المسلمين في العام مرة اشارة الى وجوب عقد المؤتمرات • الاقتداء بامام واحد في الصلاة صورة من صور الاتحاد الحسية • يجب ان نتفكر باوامر ديننا ونعمل بها • اللسان الفرنسوي هو اللسان الرسمي بين الاوربيين • واللسان العربي هو اللسان الرسمي العمومي بين المسلمين • القرآن كتاب المسلمين كافة • عقد المؤتمرات من اهم الواجبات • يجب ان تكون مكة المكرمة مركز المؤتمرات فانها اهم من الاستانة ومصر • يجب ان نستفيد من هذه المؤتمرات لترقية المسلمين • جهل الحجاج وبكمهم • مؤتمر موسقو • يجب ان نمدن العربان الذين يستحلون قتل النفس لبضعة دراهم • التأسف على الماضي لا يجدي • يجب ان نختم بمكة كما نختم بالعاصمة • يجب ان نجعل مكة انموذج المدنية الاسلامية • اذا كانت الاستانة وجهتنا في المعاملات فمكة وجهتنا في العبادات • اذا كانت الاستانة مركز خلافتنا فمكة مركز ديانتنا • انتشار المدنية بمكة لا يضر الاستانة • يجب ان نجعل مكة مركز التوزيع والتقسيم • المسلمون فطروا على حب الاصلاح

اطلعني محمود بك المدعي العمومي في ولاية بيروت على هذه المقالة المنشورة تحت توقيع «محمد عالم مدرس مغنيسا» في العدد ٤٥ من مجلة «صراط مستقيم» التركية التي تصدر في

العاصمة ورغب الي ان انقلها الى العربية نظراً لما جهر به صاحبها التركي من الحقائق التي يندر ان يجهر بها بنو قومه ماعدا افراداً قلائل يوجد مثلهم في كل عصر ومصر فرأيت ان تعريبها نافع جداً ليطلع بنو قومنا على اراء المطلعين على الحقائق من الاتراك والعاملين منهم على انهاض الامة الاسلامية من طريق الدين فعربتها ووضعت لها فهرساً يفهم منه اجمالاً مواضيعها بعد ان تصرفت في التعريب تصرفاً يقتضيه الاسلوب العربي مع ايضاح قليل لبعض المعاني لحاجات كما تري :

المشغوفون باستطلاع الشؤون الكونية يطالعون الصحف ليتنسموا منها ما كان وما يكون وما سيكون .

مرّ على هؤلاء المشغوفين زمن كان فيه احدهم يائساً بائسا لدرجة كان يناجي او يناغي نفسه بها قائلاً : آه ان جرائدنا المسكينة لا تبحث بما يتعلق بنا «البتة» ويخيل لي ان وجودنا على سطح هذه الكرة اما ان يكون خياليا ، او ان يكون مركزنا السياسي خاليا ...

سرحت هنيهة في عالم التصور فتراآى لي ان جرائدنا السياسية كانت صناجة رياء ، وربابة ثناء ، بل تبين لي انها كانت بلبلاً غريداً في سرحة المدائح الحميدية ، وقنبرة بكماء خرساء في المباحث الحيوية النافعة للامة ولو على سبيل الرمز والايماء

وتراآى لي ان كتاَّبنا المسلمين وان كانوا يلتهبون غيرة وحمية على مجد الامة ، فان شدة الضغط قد جعلت بينهم وبين التوفر على البحث في منافعها حاجزاً حصينا ، وسداً ركينا — «قد قوّضوه فيما بعد وجعلوا عاليه سافله»

وتراآى لي ان العصر الحميدي كان يسوق الامة الاسلامية المسكينة الى هاوية مظلمة لا يكاد يُعلم لها قرار ، بل كان يسعى السعي الحثيث وراء حرمان جميع العثمانيين من كل مميزات الانسان حتى من خاصة التفكر

فتلهفت حتى تلهّفَ عليّ ، ثم جعلت نُصب عيني واجبات جرائدنا التي يجب عليها القيام بها ، واقتطاف الثمرات اليانعة من ادواح مباحثها

ثم قلت مناغياً نفسي بنفسي : اليست الصحف اسهل الوسائط الارتباطية ، واهم الوسائل الاتحادية ؟؟ اليس الاتحاد هو الضالة الوحيدة التي ستنشدها البلاد العثمانية

والاسلامية معاًنظراً لسعتها وتنائي اطرافها ؟؟ لكن آه آه !! ان بقاء جرائدنا المنتشرة في العاصمة على حالتها الحاضرة خرساء بكماء ، وكمّ السن كتابنا ، وجعلهم قيد الضغط والمراقبة ، كل ذلك مما يجعل املنا الاستقبالي ضئيلاً ضعيفا

ثم كنت اسائل نفسي قائلاً : آه ما الذي يجب عمله إزاء هذه الحالة ؟؟

ثم اجيب بنفسي قائلاً : اول شيء يجب عمله هو العصيان ضد الظلم ، والطغيان ضد الاستبداد · لكن كيف يكون هذا وبأي شيء يحصل ذاك ؟؟ فكنت اسمع صوت هاتف لطيف يهتف في صماخ اذني فتسري فيّ روح الانتعاش فتحيي جسمي الشاحب البالي ، وكانت تلك الروح السارية تبعث فيّ سلوى لطيفة ، بل كانت تجدد لي نشأة اهل الشورى الاستقبالية ، بل كانت تجعل لشبح الرقيّ الساري في دماغنا الحساس المتأثر كياناً ووجودا

كان يترآى للناس في ذلك الدور ان ليس ثمة من وجدان ينقاد لصوت الالهام او « الهاتف اللاهوتي » ولا من انسان يتبين معنى الشورى والدستور ، الى ان بلغ الحزام الطبيين ، ووصل الظلم الى غايته ، فكأن غيرة الله غارت على قسم من نسماتها بلغ فيه الظلم ما اراد ، فارادت ان تشنّ غارتها ، وتقيم قيامتها ، وما عتمت ان بدأت اشراط قيام الساعة الانقلابية على رؤوس الظالمين تترآى ظاهرة للناس ، فكأن انين الأُمة قد قرع صماخ العالم العلوي وكأن نشيج بكاءها قد انتهى صداه الى مقرّ ارواح الانبياء فظهر من الغرب فجر الشورى في تموز سنة ١٣٢٤ واشرقت شمسها في نيسان سنة ١٣٢٥

نحمد الله على ان اصبحنا في دور حياة حقيقية تتجلى به علينا شمس الحرية ، نحمد الله علَى ان احرزنا سعادة التفكر في كل لوازم حياتنا الاجتماعية ، من جميع وجوهها

الاتحاد هو السبب الوحيد الذي اوصلنا الى هذه السعادة ، الاتحاد هو الباعث الحقيقي لتجلي الارادة الالهية علينا · الاتحاد فرض مقدس يجب علَى كل فرد مناداؤه ، واني

امسك القلم عن الاسترسال في منافعه ، لان اصحاب الشعور الحي والوجدان الطاهر يقدرونه قدره ولكنني اقول :

ان كل الرزايا التي نزلت بنا لم تنشأ الا عن التخاذل وعدم الاتحاد ، وكل البلايا التي اصابتنا لم تنشأ الا عن الجمود على الجهل

ان الدور الدستوري السعيد الذي نلناه بمزية الاتحاد قد عرَّف بنا الامم جمعاء باننا أمة مالكة لجميع حقوقها المدنية ، كما أعلمَ العالم قاطبة باننا نُعدُّ لدى الامم الاسلامية المنتشرة فوق سطح الكرة الارضية بمثابة « الدليل » الهادي السالك في طريق الكمال

يتخيل لي ان الزمان قد استدار وأنه قد آن لنا ان ننبذ التخاذل والتغابن ونعمل يداً واحدةً على كل ما فيه مجدنا فان خصمنا الالد قد دُحر وخُذل وليس في طريقنا الآن قوة تمنع تضامَّ العناصر الاسلامية وتضافرها على السير في سبيل الارتقاء

يقولون : ان الفرص يجب ان توجد لا ان تنتظر ، واذا كنا في زمن الاستبداد البائد نعتذر بشدة الضغط والمراقبة ، وباننا لم نكن نقدر ان نبرهن على وجودنا السياسي ، فبمَ نعتذر في الدور الحاضر ليكون عذرنا مقبولاً عند الله وعند الناس وعند انفسنا لنستريح ؟؟؟

ان لدينا اليوم حكومة مهمة مالكة لجميع حقوقها المدنية ، ومركزنا السياسي ، وموقعنا الجغرافي ، لا يضاهيه مركز ، ولا يضارعه موقع ، وفي يدنا نعمة عظيمة تقدر بنعم الدنيا كلها وهي نعمة « الخلافة » على الامم الاسلامية كلها

نحن ارقى الجميع في العلم والعرفان ، فلماذا لا نتأثر من الذل الذي يلحق اخواننا في بخاري ؟؟ لماذا نظل فاقدي الشعور امام المصائب التي تنزل باخواننا في مراكش ؟؟

الم يكفنا باننا تسفلنا الى درجة كدنا نضمحل فيها بالتعلل بلفظ « لا يصير » و « ما يعنينا » ؟؟

ألم يكفِ باناقد جعلنا تحت الارض قيد الذل والاسر مئات الملايين من اخواننا

في الدين بسبب عدم التفاهم ؟؟

هل نحن واقفون على الحالة السياسية والضغطية الموجود فيها اخواننا المسلمون في اوستراليا ، وفي جاوة ؟؟ هل نحن مطلعون على طرز ادارة المسلمين في الصين واحوالهم المعاشية ؟؟ لانذهب بعيداً ، هل نحن على علم تام بمصائب متاخمينا ومجاورينا الايرانيين ؟؟ او على المام بذلّ القفقاسيين ؟ او سفالة القريميين ؟ او سياسة الصربيين ؟ اوسائر احوال غيرهم من المسلمين ؟؟

لنترك هؤلاء ايضاً ، هل تذرعنا لانقاذ جزيرة العرب التي تبلغ ثلاثة اضعاف بلاد البلغار من الجهل المخيم عليها منذ قرون ؟؟

اليس ذلك عاراً علينا ؟؟ ان اهمالنا لهذه الدرجة مما تحار له عقول ذوي العقول

ايها المؤمنون ما هذه الغفلة ؟ ايها المسلمون ما هذا الاهمال ؟ لماذا بقينا متخاذلين متشتتين ؟ لماذا وصلنا الى هذه الدرجة من الحيرة ؟

ان سكوتنا هذا يحمله الجاهلون على المسكنة المتأصلة بفطرتنا والمفسدة الموجودة في ديننا « حاشا ثم حاشا »

قد وصلنا الى درجة من الجهل اصبحنا بها نسمع الفاظ العداء من لسان الاوداء ، لا من لسان الاعداء ، حتى اصبحنا عرضة لامثال هذه الاقوال اللئيمة : « اي شيء رقاه المسلمون ؟ بل اي شيء امكن للمسلمين ان يرتقوا به »

هنا يتهافت اخواننا وبنو قومنا بدون ان يعملوا فكرتهم الى القول بان اوربا تحارب الدين غير عالمين كيف تحارب اوربا الدين ؟ وايّ دينٍ تحارب ؟ فيعلقون باشراك الشبهات والاضاليل غير متفكرين بمرامي كلامهم ومايجره من الرزايا والكوارث ومتخيلين ان الترقي الحاضر لم ينشأ الا عن محاربة الدين

اليس القول : بايّ شيء ارتقى المسلمون يرمي الى ان الاسلام مانع من التمدن ؟؟

تالله ان البلاهة الموجودة عندنا هي من الغرابة بمكان ، ان قائل هذا القول يعلم

يقيناً ان الاندلس وبغداد كانتا منبعاً للتمدن الاروبي الحالي ، ومصدراً للعلم الحاضر، فهل كان الدين الاسلامي في ذلك الحين غير الدين الاسلامي اليوم ؟؟ فماهذ التناقض ؟

كيف يمكن ان تكون شريعتنا الاسلامية وهي جامعة لقواعد الارتقاء والتمدن حاجزاً في طريق الترقي ؟؟

ان نظرة سطحية الى احكام الدين الاسلامي تكفي لأن يتبين منها بانها اساس متين للارتقاء، ونظام مكين للعلاء

نعم نحن نعترف بان المسلمين لهذا العهدقدوصلوا الى درجة من الامتهان والازدراء بحيث لو أدّعوا وهم على حالتهم الحاضرة بانهم مرتقون لاصبحوا سخرية ، لكن في هذه الحالة لا يجب ان نلقي الذنب عليهم لكونهم مسلمين، بل يجب ان نلقي الذنب عليهم لكونهم غير مسلمين حقيقة ، وما ذاك الا لانهم لم يعملوا بالاحكام الاسلامية عَلَى وجوهها ، بل خالفوا الشرع ونبذوا الامور الآلهية وراء ظهورهم ، والافان الاندفاع الى انكار سماحة الدين الاسلامي وتساهله مع العلم والارتقاء استناداً عَلَى جهل بنيه هو اشبه بالاستدلال على حسن رجل او قبحه من خيوط شعره الموجودة في اليد

ان الدين الاسلامي يأمرنا بالاجتماع في محل واحد خمس مرات في النهار ولا ريب ان هذا الاجتماع يرمى الى كثير من المعاني الدقيقة والاشارات الرقيقة شأن الاوامر والنواهي الاسلامية كلها

ايها القوم : يجب علينا ان نجتمع ، يجب علينا ان نرى بعضنا ، يجب عَلَى كل منا ان يبحث عن الآخر ، يجب علينا ان نسأل عن المتخلف عن الحضور ، يجب ان نعلم ماهي حالته ؟ اوما الذي دعاه الى التخلف ؟ فاذا كان ثمة من كرب او كارثة فلنجتهد بازالة كربه ، فاننا بهذا العمل نكون متعاونين على البر ، بل نكون جددنا اتحادنا واتفاقنا في كل وقت ، والا فلو كانت الغاية من الصلاة جماعة هي « نفس الصلاة » لكانت صلاة الانسان في اي محل يستسهله ممدوحة ومباحة عملاً بقوله تعالى:

« ما جعل عليكم في الدين من حرج »

ان صلاة الجماعة كما تكون وسيلة حسنة لاجتماع اهالي محلة واحدة وسبباً لتعارفهم واتفاقهم في كل يوم خمس مرات تكون لاهل البلدة كلها في جامع واحد في « الاجتماع لصلاة الجمعة » ولذلك اختلف على جواز صلاة الجمعة في جامعين في بلدة واحدة

واجتماع الناس في صعيد واحد يتسنى به للخطيب ان يلقي عليهم المواعظ والنصح ويطلعهم على الشؤون الاسلامية بصورة اجمالية (١)

ثم ان الدين الاسلامي قدام باجتماع آخر اعم واشمل واكثر تأثيراً ، وهو اجتماع اغنياء المسلمين في العالم في صعيد واحد في كل سنة

وعليه فان اغنياء المسلمين النافذي الكلمة من كل مملكة ومن كل بلدة يجتمع بعضهم ببعض مرة في العمر على الاقل في محل عينه الشارع وجعل شد الرحال اليه فرضاً ، وهناك يتفاوضون مع سفراء اخوانهم في الدين ويتعارفون ويتعرفون شؤون اخوانهم النائين ، ومن الحكمة في هذا الفرض انه جُعل فرضاً على الآباء والابناء على السواء فاذا حج الوالد فلا يسقط عن الولد

يجتمع المسلمون في هذا الموقف في الوقت المعين فيمتزجون ويتباحثون فيما يعود عليهم بالنفع ، ويتفكرون في الوسائل التي تجعلهم جسداً واحداً اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد ، بل يجعلهم يقرون على خطة يسيرون عليها سعياً وراء كل ما يرمون اليه من الآمال الكبيرة

الاجتماع في الحج واقتداء مئات الالوف بامام واحد وقت الصلاة يصور للمسلمين الاتحاد مجسماً . الاجتماع في الحج يجعل المسلمين مطلعين على شؤون بعضهم في كل حين . الاجتماع في الحج يجعل امل المسلم في طنجة هو نفس امل المسلم في كشمير ، ويجعل ما يشعر به « احمد » في القزان يشعر به « محمد » في الترنسفال

(١) حاشية من الاصل التركي : لا يعترض علينا بحالة الخطب في زماننا فاننا نسرد الكلام عن الخطب بالنظر الى وضعها الاصلي

ايها القوم : أليس من الاسف ان تكون اوامر ديننا بهذه الدرجة العالية من الحكمة ونحن نعدُّ اداء الصلوات الخمس فضلاً عن اداء فريضة الجمعة والحج اشبه بعمل زائد ؟؟

من منا يهتم بشأن الصلاة ؟ على اننا وان صلينا فانا نعدُّ الذهاب الى الجامع عملاً لا لزوم له

ايها القوم : لنفكر بانصاف : اذا كنا نحن لانهتم بامر الاجتماع الذي يأمر به الدين فهل يكون الذنب على الدين ؟؟ أم على المتدينين ؟ — نعم ان دور الاستبداد كان يمنعنا عن التصريح بامثال هذا الكلام بل كان يمنعنا عن التفكر به · اما اليوم فانه لا يقف بوجهنا حاجز عن التصريح بكل حقيقة ، — كنا نتمنى ان نرى الدولة العثمانية دولة عزيزة الحمى ، منيعة الجانب مرهوبة الشبا ، لكن ياترى لماذا لا نتذرع بالوسائل التي تقوي العنصر الاصلي للاسلام « وهو العنصر العربي » بل لماذا لا نقوي الاسلام نفسه ؟؟؟ — اول عمل يجب الشروع به في رأي هذا العاجز هو توثيق روابط الاتحاد وتحكيمها كما نحن مأمورون شرعاً، والاتحاد لا يؤيد ولا يوثق الا بانشاء جرائد عربية خاصة تنشر وتعمم

اللسان الفرنسوي يعده الاوربيون اللسان الرسمي العمومي بينهم ، واللسان العربي يعده المسلمون اللسان الرسمي الديني العمومي بينهم — اية بلدة او مملكة اسلامية تعد اللسان العربي غريباً ؟؟ اية جمعية اسلامية تعد الكتاب العربي اجنبياً ؟؟ — وعليه فاي شان من الشؤون النافعة تقصر الجرائد العربية عن القيام بادائه ؟؟

انا وايم الله لنأسف كل الاسف لاننا لم نتذرع حتى الآن بشيء من هذا القبيل بل اني اعد عدم تذرعنا بذلك عاراً — نعم يجب علينا لتحويل حركة الرأي العام الى هذه الجهة ان نعقد المجتمعات والمؤتمرات ولكن في اي مكان نعقدها ؟

انه يوجد لهذه الغاية الشريفة محل مبارك هو اهم من الاستانة ومصر و يمكن ان يتخذ مركزاً وهو مكة المكرمة كرمها الله الي يوم القيامة

اذا كان صوت الشريعة الغراء يجمع كل سنة مئات الالوف من الحجاج · واذا كان كثير من ذوي الثروة والكلمة النافذة من كل ارجاء الارض مكلفين ان يعرفوا هذه الجهة المقدسة فهل لا نستفيد نحن شيئاً ؟؟ اننا مع الاسف لم نعمل شيئاً حتى الآن لكن ما دامت غايتنا الآن العمل على ترقية الامة الاسلامية فان تلك الخطة هي احسن وسيلة للوصول الي ما نرمي اليه

وا اسفاه : ان حجاجنا الذين يجتمعون في تلك الارجاء تراهم بسبب رزية جهلهم وسيئة عدم وجود مرشد لهم يكتفون بمواجهة بعضهم بعضاً فقط فلا يتطرقون الي البحث في احوالنا حتى ولا الديني منها ولا الدنيوي

عقد في الايام الاخيرة في مدينة « موسقو » مؤتمر مؤلف من جميع ارجاء بلاد الـلاف

ان تصور هذا المؤتمر وحده كاف لان يصور لنا مقدار الفوائد العظيمة التي نالها اصحابه منه وما نتج لنا من الضرر الذي لحقنا منذ زمن قريب بسببه

ان هذا المؤتمر لا يمكن ان يجتمع به اكثر من مئة او مئتي شخص واذا بلغ الغاية فانه يجمع الف نفس ليس الا. ومع ذلك فانهم قد حلوا بواسطته عدة مشاكل ونالوا ما كانوا يطمحون اليه

اما نحن فما الذي صنعناه ؟ نعم نحن ما الذي صنعناه ؟ اننا الى الآن لم نقدر ان نمدن ما حوالي مكة . بل اننا نحن الى الآن لم نقدر ان نفهمهم باننا مسلمون مثلهم

العربان في تلك الارجاء لم يزالوا حتى اليوم يعدون قتل المسلم الحاج حلالاً مباحاً طمعاً بسلب ثلاث او خمس ليرات منه

العربان في تلك الارجاء لم يزالوا حتى اليوم يعدون كل من لا يحسن التكلم بالعربيـة من حجاج بيت الله الحرام مشركاً

نعم ان التأسف على الماضي لا يجدي بيد ان الذي يجدي هو ان نجد ونجتهد لكي لا نجعله ماضياً وبعبارة اوضح هو ان نجد ونجتهد لكي لا نجعل الآتي كالماضي

اقول بكل صراحة اننا اذا اردنا ان ننهض بالامة الاسلامية فيجب علينا ان نوجه كل اهتمامنا الى مكة ..... لان ..... الوسائل التي تنهض بالدولة العثمانية وتجعلها في عداد الدول القوية التي تأبى ان تغلب انما ننالها بتلك الارجاء

يجب علينا ان نجعل لتلك الارجاء اهمية سياسية كاهمية العاصمة نفسها لانها منبع علومنا المدنية ومقر سياستنا الاسلامية

يجب ان ننشر بتلك الارجاء جميع الجرائد والكتب التي تطبع باللغات الاسلامية

يجب ان تُلقى الخطب الاجتماعية بتلك الارجاء . يجب ان تفتح اهم مكاتبنا في تلك الارجاء

يجب ان توزع من تلك الارجاء بذور الاتحاد على جميع انحاء العالم

يجب ان نجعل تلك الارجاء بدرجة اذا رأى بها احد مكة المكرمـة يظن انه رأى الممالك الاسلامية ويعتقد بانه اطلع على زيادة آمال الامة

يجب ان يقتنع المسلم الذي يحب الوقوف على الشؤون الاسلامية بانه اذا رأى مكة المكرمة اصبح واقفاً على انموذج احوال الامة لدرجة كافية

يجب علينا ان نجعل هداتنا «اهالي مكة» يتخرجون من كلية علمية منظمة . يجب ان يدخل اهالي مكتنا المكرمة في دور عمراني مهم . ان هذا المقام مقدس وكل يوم نوجه وجوهنا اليه خمس مرات . اذا كانت الاستانة وجهتنا في المعاملات فمكة وجهتنا في العبادات اذا كانت الاستانة مركز خلافتنا فمكة مركز ديانتنا

اني اعتقد ان المسلمين لا يستفيدون استفادة حقيقية من المدنية الاسلامية التي هي المدنية الحقيقية الا باتخاذ مكة المكرمة مركزًا للعلم والحضارة

ربما يتخيل البعض ان اتخاذ مكة المكرمة مركزًا للعلم والحضارة يضر بالاستانة نفسها ، لكن اظن ان المدنية الاسلامية والعلوم الحقيقية اذا نشرت في مكة على وجهها الحقيقي لا تنتج اقل ضرر فيجب ان نجعلها مثابة للعلم ، ومهبطاً للحضارة ، ومركزًا للتقسيم والتوزيع ، لان موقعها اشرف المواقع بلا استثناء ، وقد اختارها رب الارباب من بين البلدان كافة وجعلها مقر بيته الحرام ، وقبلة المسلمين في جميع ارجاء الارض

وعليه فان مكة انفع للحكومة العثمانية من كل جهة ، بل ومن كل وجهة ، واذا فكر اولياء الامور واولوا الشأن وارباب الاقلام منا بهذه النقطة الدقيقة لا اشك في انهم يجزمون بالفوائد الكثيرة التي ننالها

اليس من الواجب ان تشمل تلك الارجاء السياحات النافعة المفيدة التي يجريها امثال اسماعيل غصبرنسكي وغيره من الغيورين المتفانين باعلاء كلمة الدولة والامة ؟؟ اليس من الواجب ان لا يحرم الحجاج المسلمون من ارشادات هؤلاء الافاضل ، وان محمد فريد وجدي الذي له خدم جليلة في هذا الباب لا يألو جهدًا في الخدمة نفسها

ان للامة ميلاً فطرياً للاتحاد والارتقاء واليك مثالاً على ذلك :

لما أريد في العام الماضي ارسال جيش الرديف من ازمير الى سلانيك لم يكن فكر الحرية يجول في دماغ احد بل لم يكن احد مطلعاً على مظالم السلطان المخلوع ، ثم لما كوشف البعض منهم بما عليه الحالة ظهرت فيهم علامات الارتياب والتردد بصورة هائلة بعد ان وصل البعض منهم الى درجة حكم فيها بكفرنا قائلاً : (هل يعان العاصون على السلطان ، ان ذلك لا يمكن ، نعوذ بالله) ، لكن لو رأيت اولئك الابطال وقد زحفوا بعد ما أشربوا في الطريق وفي الروملي حقيقة المسألة و رأوا الشواهد الحسية المقنعة التي دلتهم على ان السبب في امتهان الدين واذلال الامة هم الرؤساء والحكام رأيتهم تحولوا في آن واحد مثل البرق الخاطف و دخلوا في سلك الصف الاول من الصفوف القائمين القائلين : (الحرية او الموت)

يجب ان نمعن النظر ونطيل الفكرة في هذه الحالة ليظهر لنا جليًا كيف ان الجندي الذى لم يسمع منذ ولد من بطن امه لفظ الحرية ، والوطن ، والامة ، كيف اصبح من ابطال الحرية بمجرد استماعه كلمة الدين مرة او مرتين ، انَّ هذه الحالة هي في الحقيقة جديرة بالارتياح والامتنان ، اذ يتبين منها ان نور الذكاء متجل على الامة بتمامه ، وفكر الاتحاد سار فيها بكماله ، وهو فضل من الله — لا جرم ان هذه القابلية ليست محصورة في التوابير العشرة التي زحفت على الروملي بل هي شاملة جميع افراد الامة

ايها القوم : يجب علينا العمل ، يجب ان يبدأ بالارشاد من مكة ، يجب ان ترسل اوراق الدعوة الى افاضل الامة وانا على يقين بانه لا تمضي مدة الا والعالم الاسلامي فيها قد انتقل من طور الى طور

ايها القوم : ان العرب ، والمصريين ، والمراكشيين ، والزيديين ، والايرانيين ، والافغانيين ، والهنديين ، والصينين ، والجاويين ، والبخاريين ، والاتراك ، والاكراد ، واللازيين ، والالبانيين ، والجراكسة ، كلهم قد ولوا وجوههم نحونا وهم ينتظرون كلمة (الدعوة) لتصدر منهم كلمة (الاجابة) حالا

ايها القوم : ان الالمانيين والمجريين والسكونيين ، والسلافيين والاغريقيين ، كلهم باذلون قصارى

جهدهم وراء الاتحاد والاتفاق

ايها القوم : ان بقاءنا مهملين امر المحافظة على كياننا وحقوقنا امام الامم اجمع هو من الجرائم الكبيرة التي لا تغتفر بوجه من الوجوه

ايها القوم : لماذا التقاعس . لماذا لا نبحث عن الوسائل التي تمدن المسلمين كافة وتجعلهم متمدنين .. ألسنا من بني الانسان ..

ايها القوم : يجب ان نزيل الاقذاء الغشية على صماخ آذاننا لعلنا نسمع بها كيف ان الامم تجد وتجتهد لتكون في مركز يحدد كيان غيرها

ايها القوم : اننا نسمع الذين يلقبون بلقب (لورد) و (موسيو) يأسفون لوجود قسم من بني الانسان يسمى المسلمين . فما هذا الذل . وما هذا العار . افلا يجب علينا ان نجد ونجتهد لنقدر ان نطبق علينا (حقوق الدول)

ايها المسلمون : يجب ان تنتبهوا فان القافلة قد شدت الرحال وغذّت في المسير والسلام على من اتبع الهدى

كريد

كريد او اكريت وتسميها العرب أقريطش « بفتح الهمزة وقد تكسر » جزيرة من جزر البحر الابيض وهو بحر الروم يقابلها من برّ افريقيا لوبيا ، وهي على بعدٍ متساوٍ من آسيا وافريقيا واوربا غير انها تعتبر جغرافياً من اوربا ، ومساحتها ٢٩٥٠ ميلاً مربعاً ، ودَوْرُها كما في القاموس ٣٠٠ ميلاً او مسيرة خمسة عشر يوماً . وعدد سكانها نحو ٣٩٥٠٠٠ الفاً – اكثرهم مسيحيون وسائرهم مسلمون

وهي جزيرة واسعة خصبة الاراضي كثيرة المياه جيدة الهواء ، وفيها عدة آثار قديمة ، وفيها مساجد وكنائس . ومن حاصلاتها الحبوب بانواعه ، ويستخرج من بحارها الاسفنج ، وصادرتها الزيت والزيتون والجبن والصابون والعسل

وهي منقسمة الى خمس متصرفيات ، واشهر مدنها « خانيا » وهي عاصمة الجزيرة و« ريتمو » و « كنديا » و « اسفاكيا » و « لاشيد »

وهذه الجزيرة الكبيرة فيها مدن وقرى ، و ينسب اليها جماعة من العلماء

قال صاحب المعجم : قال احمد بن يحيى بن جابر : غزا جُنادة بن ابي أُمية الازدي بعد فتحه جزيرة ارواد في سنة ٥٤ في ايام معاوية ، ثم غزا « أقريطش » فلما كان في ايام الوليد فُتح بعضها ثم أُغلق . وغزاها حُميد بن مَعيوف الهمداني في

خلافة الرشيد ففتح بعضها . ثم غزاها في خلافة المأمون ابو حفص عمر بن عيسى الاندلسي المعروف بالاقريطشي فافتتح منها حصناً واحداً ونزله ، ثم لم يزل يفتح شيئاً بعد شيءٍ حتي لم يُبقِ فيها من الروم احداً ، وخرّب حصونهم ، وذلك في سنة ٢١٠ في ايام المأمون .

وقال غير البلاذري : فُتحت « أقريطش » في اوائل ايام المأمون . وقيل فُتحت بعد ٢٥٠ على يد عمر بن شعيب المعروف بابن الغليظ ، وكان من اهل قرية « بُطروح » من عملِ « فحص البلوط » من الاندلس ، وتوارثها عقبه سنين كثيرة

وقال ابن يونس : كان اول من افتتحها شُعيب بن عمر بن عيسى ، وكان قد سمع يونس بن عبد الاعلى وغيره بمصر ثم نُدب لفتحها فسار اليها حتى افتتحها

وكانت من اعظم بلاد المسلمين نكاية على الروم الى ان اناخ عليها « نقفور بن الفقاس الدُمستق » في خلافة المطيع

وتملكها « ارمانوس بن قسطنطين » في آخر جمادي الاولى سنة ٣٤٩ في اثنين وسبعين الفاً منهم خمسة آلاف فارس ولم يزل محاصراً لها حتى فتحها عنوةً بالحرب والجوع في منتصف المحرم سنة ٣٥٠ فقتل ونهب وسبى واخذ صاحبها عبد العزيز بن شعيب من نسل ابي حفص عمر بن عيسى الاندلسي وامواله وبني عمه ، وحمل ذلك كله الى قسطنطينية ، وقيل : انه حمل الى قسطينية من أموالها وسبي اهلها نحواً من ثلاثمائة مركب ، وهدموا حجارة المدينة والقوها في الميناء الذي دخلت مراكبهم فيه لئلا يدخل فيه بعدهم عدوٌ

وقد نُسب اليها بعض الرواة : منهم محمد بن عيسى ابو بكر الاقريطشي ، حدّث بدمشق عن محمد بن القاسم المالكي ، وروى عنه عبدالله بن محمد النسائي المؤدب ، قاله ابو القاسم

وقد بقيت هذه الجزيرة بايدي الافرنج الى ان افتتحها العثمانيون سنة ١٠٥٥ — ١٦٤٥ وكانت اذ ذاك تابعة لجمهورية البندقية . وذكر المؤرخون في سبب فتحها ان « قيزلر آغاسي » اي آغا السراري لما اذن له السلطان ابراهيم الاول في زيارة بيت الله الحرام

سافر ، وبينما هو في الطريق هاجمته مراكب رهبان « مالطة » وقتلوه واخذوا غلاماً كان معه ظناً منهم انه ابن السلطان . ولما تحققوا غلطتهم ربوا الولد على الدين المسيحي وادخلوه في طائفتهم واشتهر عند الافرنج باسم « بدري اوتومانو » اي الاب العثماني ، ثم نزل الرهبان الى جزيرة « كريد » فأحسن البنادقة وفادتهم . فلما علم السلطان بالامر اغتاظ غيظاً شديداً وحبس قناصل البندقية وانكلترا وهولاندا ولم يفرج عنهم الا بعد ان اقنعه وزيره الاول بان اغلب هؤلاء الرهبان بل كلهم من الفرنساويين ومع ذلك فهم غير تابعين للحكومة الفرنساوية ولا لغيرها ، فهدأ باله لكنه امر بتجهيز عمارة بحرية قوية لفتح جزيرة كريد لاهمية موقعها الجغرافي الحربي عند مدخل ارخبيل اليونان ولتوسطها في الطريق بين استانة وولاية الغرب فجهزت الدونانمة وسارت باحتفال زائد تحت قيادة يوسف باشا حتى وصلت الى الجزيرة والقت مراسيها امام مدينة « خانية » التي هي اهم ثغور « كريد » فافتتحوها في وقت قريب من غير حرب تقريباً لعدم وصول الدونانمة البندقية اليها في الوقت المناسب ، فانتقم البنادقة لانفسهم بحرق ثغور « بتراس و كورون ومودون » من بلاد المورة ، فاراد السلطان في مقابل ذلك قتل المسيحيين فعارضه في هذا العزم المفتي اسعد زاده ابو سعيد ، وقال له : ان هذا العمل ينافي الشريعة الاسلامية المطهرة فعدل السلطان عن عزمه ذاك

على انه لو تم هذا العمل البربري لكان قد لحق بالدولة عار عظيم لا يمحى كما لحق بمسيحي اسبانيا لارتكابهم جريمة القتل والفتك بالمسلمين بعد فتح مدينة غرناطة (١)

ثم في سنة ١٦٤٦ فُتح اكثر الجزيرة . ثم رجع الجيش العثماني الى استانة بعد

---

(١) غرناطة : مدينة ببلاد الاندلس كانت مقراً لمملكة بني أمية الغربية وقد دخلها الافرنج سنة ١٤٩٢ في خلافة ابي عبد الله محمد ، وقد أجبر من بقي فيها من المسلمين على الردة او المهاجرة مع مصادرة اموالهم . فهاجر اكثرهم واضطهد من تخلف منهم اضطهاداً شديداً لم يسمع مثله في التاريخ حتى لم يبق فيها ولا في جميع بلاد الاندلس مسلم واحد وحولت مساجدهم الى كنائس . وبددت كتبهم العلمية . ويوجد فيها كثير من الابنية العربية محفوظاً حتى الآن خصوصاً قصر الحمراء الشهير

ان ترك في الجزيرة جانباً من العساكر فلما علمت مشيخة البندقية بذلك ارسلت عساكرها فاستولوا على ما كان في ايدي العساكر العثمانية واستأسروا جانباً منهم فغضب السلطان لهذا الامر وجهز عليهم حملة ثانية فاخرجوهم واستولوا على ما كان بايديهم . ثم حاصروا قلعة « رتمو » وكانت قلعة حصينة الى ان امتلكوها . ثم امتلكوا مابقي من بلاد الجزيرة الا « كانديا » فانهم حاصروها مدة طويلة حتى طال امرها ، وقد حال دون اتمام فتحها عصيان العساكر في استانة وسرى ذلك الى العساكر المحاصرة لها فتركوها

ثم في سنة ١٠٨٠ — ١٦٩٦ افتتح العثمانيون مدينة « كنديا » المشار اليها في ايام السلطان محمد الرابع ابن ابراهيم الاول ، ولما ساروا اليها بقيادة الصدر بنوا بالقرب منها مكاناً كان متهدماً لتهيئة مهمات الحصار ، وكان اهل « كانديا » قد حصنوها باشياء لا يمكن حصرها واضافوا الى سورها سوراً آخر عمروه داخل السور القديم ، وطال الحرب بين الفريقين واستمر الحصار والقتال اكثر من سنتين ، وقد انجد اهل « كانديا » فرنسا وامدتهم بالمال والرجال والسفن الحربية وبلغ ما ارسلته من الرجال خمسة عشر الف مقاتل ، وجاءتهم ايضاً نجدة من مالطة ومن البابا فاجتمعت كل هذه النجدات مع عساكر فرانسا ونزلوا البحر وهجموا على العساكر العثمانية واقتتلوا قتالاً شديداً كان النصر فيه حليف العساكر العثمانية فقتلوا اكثر الاعداء ولم ينجُ منهم الا القليل ، فرجعت مراكب الافرنج بالخيبة ، فلما رأت حامية « كانديا » فوز العثمانيين اضطرت الى التسليم فارسلوا الى الوزير بطلب الصلح فاجابهم الى ذلك واخرجهم منها ووضع فيها العساكر العثمانية

ثم رجع الصدر الى استانة ومعه طائفة من مراكب مالطة وغيرها التي غنمها وكثير من الاسرى

غير ان اهالي الجزيرة لم يزالوا يشقون الطاعة ويهيجون نيران الثورات حتى قامت بسبب ذلك حروب كثيرة اعظمها حرب سنة ١٢٣٧ بعد ان ثارت اليونان طلباً للاستقلال والفوا الجمعيات السرية لذلك

ثم اثاروا الفتن واشهروا العصيان سنة ١٢٤٨ فجرَّد على الجزيرة محمد علي باشا

والي مصر جيشاً لنصرة الدولة فاخمد ثورتها واخضع سكانها ، ثم وهبتها الدولة للمذكور فبقيت تحت يده عشر سنوات ، ثم أعيدت للدولة العلية سنة ١٢٥٦

ثم بعد مدة وجيزة عادت الى الثورة وانتهت بمعاهدة « هليبة » ومُنحت من قبل الدولة عدة امتيازات : منها انشاء مجلس نواب وجمعية عمومية في مدينة « خانية »

وقد نشأت هذه الثورة من دسائس اليونان وسعيهم في ضمها اليهم ، لكن مصلحة الدول البحرية لم تسمح لهم هذه المرة على ما يظهر بتأييد مطالب اليونان بل كانت كلها مضادة لسلخ هذه الجزيرة عن املاك الدولة العلية ، ولذلك منعت اليونان من مساعدة الكرديين الثائرين ، وقد ارسلت الدولة العثمانية لقمعهم جيشاً عرمرماً وارسل المرحوم اسماعيل باشا خديو مصر فرقة لمساعدة الجيش العثماني حسب الفرمانات ، وقد ابلى الجيش المصري في هذه الحرب بلاء حسناً خصوصاً في واقعة ارقازي « اركاديون »

وقد انتدب للمفاوضة مع الثائرين رجل اسمه « كريدلي محمد باشا » لمعرفة احوال البلاد ، غير انه لم ينجح فيما نُدب لاجله لما كان بينه وبين اعيان الجزيرة من الشحناء بسبب ولايته السابقة عليها

ثم استدعي منها محمد باشا هذا وأُرسل اليها بدلاً عنه عمر باشا بطل القرم بوظيفة قائد عام لجميع الجيوش المحاربة ، فحارب الثائرين بكل شدة وصرامة ، وعند ذلك تداخل بعض الدول وطلبت ارسال لجنة دولية الى الجزيرة لتسوية الاحوال ، فرفض الباب العالي هذا الطلب لعدم اتفاق الدول عليه ، واقترح من نفسه ارسال مندوب سامٍ سياسي للنظر في شؤون الجزيرة ، وقد سافر اليها بهذه الصورة الصدر الاعظم امين عالي باشا ، وهناك بذل جهده في تسكين خاطر الاعيان بمنحهم الرتب والنياشين ثم عزل عمر باشا لعدم اتفاقه مع رجال البحرية المراقبين لشواطئ الجزيرة ، واقام حسين عوني باشا مكانه وعينه والياً على الجزيرة ، وبعد ان رتب الامور عاد الى الاستانة بسبب اضطراد المخابرات السياسية بشأن تظاهر مملكة اليونان لمساعدة الثائرين وطلبها ضم

الجزيرة اليها باي وسيلة ولو ادّت الحال الى الحرب ، لكن الدول لم تساعدها على ذلك واظهرت لها الجفاء ، وتهددتها بما لا تحمد عقباه لو اثارت الحرب

ثم انتهت هذه الثورة بمنح الكريديين بعض امتيازات كما قدمنا ، غير أنَّ سكونها كان موقتاً لان اليونان لا تترك فرصة لتحريض الاهالي على الثورة رجاء ان تضمها اليها

ثم لما كانت سنة ١٣٠٢ التي هجم فيها البلغاريون على ولاية « روم ايلي الشرقية » وساعدتهم الدول على ضم تلك الولاية اليهم — رأى اليونانيون نجاح البلغار في ذلك فهاجت في صدورهم نيران الغيرة وتحركت نعرة الطمع والعتو فارادوا ان يحذو حذو البلغاريين فيما صنعوا ، وعزموا على اخذ « ابيروس » وهي ولاية يانيا و « مناستر » وهي عاصمة ولاية مناستر و « كريد » وغيرها ، فالفوا لذلك جمعية الفساد المسماة « اتيربا » لتنشر في اوروبا الاخبار الافاكة المقلقة عن احوال « كريد » وسوء حال المسيحيين فيها من قِبَل المسلمين وتعديهم عليهم وذبحهم لهم ذبح الغنم مدعين ان الحكومة تعينهم على ذلك العمل ، وصارت تشيع تلك الخرافات والاباطيل والافتراآت ليتسنى لها نوال مآربها وهو ضم الجزيرة الى حكومتها

ومع ذلك فقد كانت اليونان تحشد جنودها في الحدود العثمانية فاضطرت الدولة العلية حينئذ الى حشد جيش للدفاع عن حدودها بقيادة المشير المرحوم احمد ايوب باشا ، وارسلت بلاغاً الى الدول تستلفت به انظارها الى حركات اليونان ، فارسلت دول اوربا تنصح لليونان وتأمرها بالعدول عن خطتها السيئة فلم تصغ الى ذلك ولم تذعن لتلك النصائح ، بل توغلت في سلوك الشر واستمرت على حشد الجنود وتشييد القلاع وتحصين الحدود في عدة مواقع رغماً عن نصح الدول لها مراراً

ثم ارسلت سفنها الحربية الى مياه كريد بحجة واهية ، فارسلت الدولة العلية اذ ذاك بلاغاً برقياً مؤكداً الى الدول ، فقررت الدول ان يمنع الاسطول الانكليزي حركات اليونان البحرية ، واجتمع في ذلك الوقت ثمانٍ وعشرون سفينة حربية مختلطة اهتماماً في هذه المسألة

ومع هذا كله كانت اليونان مصرّة على غيها مجدة على عملها بكل نشاط ، كأن امور « أوامر » الدول كانت تحرّضها على حركاتها الحربية . فاغلظت الدول عليها القول واصدرت بلاغاً نهائياً الى نظارة الخارجية اليونانية يمهلونها فيه ثمانية ايام للكف عن السير في تلك الخطة واجلاء جنودها عن الحدود غير انها لازدياد الغرور في نفسها ولجبرها وعتوّها اعلنت للدول انها لا يمكنها العدول عن هذه الخطة بدعوى انها مضطرة لحماية مصالحها ومصالح تبعة دينها ، فقطعت عند ذلك الدول علاقاتها بينها وبين اليونان ، ورفعت سفراءها من « اثينا »

ومع ذلك كله لم ترجع اليونان عن غيها ، بل ارادت ان تختبر نفسها ، فامرت جنودها التي على الحدود العثمانية بالهجوم فهجموا فقابلتهم عساكر الدولة العلية بالمثل حتى صدتهم وارجعتهم على اعقابهم خاسرين بعد ان قتلت منهم كثيراً واسرت منهم فرقة بضباطها واسلحتها . فلما رأى اليونان ما حل بهم خُضدت شوكتهم فقفلوا راجعين من حيث اتوا

ثم فرقت اليونان جموعها وألغيت المحاصرة البحرية ، وهكذا انحلت معضلة سنة ١٣٠٤ من غير اعلان حرب رسمي من الطرفين

ثم لما رأت اليونان ما حازته كريد من الامتيازات الآخذة بيدها الى الاستقلال بواسطة الدول الاوربية ، وكان من اجلّ مقاصدها ان تضم تلك الجزيرة الى بلادها اوعزت الى جمعية الفساد « اتريا » باثارة الفتن واحداث القلاقل في كريد ، واخذت الحكومة اليونانية تسعفها ، فصاروا يبثون الفساد و يبذرون بذور الفتن والثورات حتى قام المسيحيون في كريد على المسلمين وطفقوا يذبحونهم و يقتلون اطفالهم و يسبون نساءهم و ينهبون مزارعهم حتى لم يبقَ امر فظيع الا اقترفوه . وكان عدد المسلمين بالنسبة اليهم مقدار الربع

ثم مازالت الثورات متواصلة والمذابح متوالية وهم يتهمون بها المسلمين وينشرون ذلك في اوربا منادين بالويل والثبور ، وكانت تلك المذابح في النواحي والقرى والمزارع

التي لا يمكن للدول الاطلاع على حقائق حوادثها

ثم ارسلت اليونان بوارجها الحربية الى كريد وانزلت بعض عساكرها اليها من غير اعلان حرب على العثمانيين ، واطلقت على بعض البواخر العثمانية القنابل ، ووقع للمسلمين مذبحة هائلة . فرأت عند ذلك الدول ان تحتل الجزيرة فصيلة مختلطة من جنود الدول الى حين انحسام هذه المشكلة ، وقد صدقت الدولة العلية عَلَى ذلك

ثم اخذت اليونان تجمع جنودها ظانة انها قد ملكت كريد ، وانه لم يبقَ امامها الا الدولة العلية ، وانه يمكنها ان تقوم بحركة عسكرية من حدود « تساليا » فلم يرَ الباب العالي بداً من اصدار امرٍ سنيّ بجمع بعض فرق الرديف وارسالها الى الحدود دفعاً للتعدي

ثم مازال يتزايد حشد الجيوش من كلا الفريقين . وكان كلما هجم اليونانيون على جهة من الجهات العثمانية قابلتهم جنودها وهزمتهم الى ان هاجم اليونانيون العثمانيين في « كاريا » من خمس جهات ، ولم يمض قليل من الزمان حتى امتدت شرارات القتال مسافة سبعة كيلو مترات ، وعند ذلك اعلنت الدولة العلية الحرب عَلَى الحكومة اليونانية وكان ذلك سنة ١٣١٤ للهجرة تحت قيادة المرحوم المشير ادهم باشا

وفي مدة قليلة ظفر العثمانيون بالنصر بعد ماظهر من بسالتهم وشجاعتهم ما أُعجب به العالم اجمع ، وقد انتهى الامر بخذلان اليونانيين واندحارهم

ثم تمّ عقد الصلح في السنة المذكورة عَلَى جملة شروط لا يسعنا ذكرها

معضلة كريد الحديثة

وهكذا قد ظلت ثورات الكرديين تتوالى زهاء سبعين سنة الى هذا العهد القريب وكان غرضهم من هذا كله الانضمام الى اليونان ، وكانت اوربا تساعدهم على عملهم سراً وجهراً لتخلصهم من جور الحكومة العثمانية ايام الحكم القديم ، فقد كان الاربيون يعطفون على اهل كريد ويرثون لحالهم رغبة في ان يتفصّوا من الظلم الذي كان ضارباً اطنابه في تركية . فلما تغيرت الاحوال وانقلبت الحكومة وأُعلن الدستور في

البلاد العثمانية ، وتولى ادارتها رجال يتفانون في خدمة الاصلاح من رجال تركية الفتاة بدل رجال تركية العجوز — لم يعدُ للدول مجال لمناصرة الكرديين لانهم انما كانوا يعملون ما يعملون بحجة الاخذ بيد المظلوم وتخليصه من ايدي ظالميه ، وقد تحقق لديهم ان الحكومة العثمانية الجديدة تسعى لجعل رعاياها كافة في بحبوبة الامن والعدل والحرية

فلما انقضى الاجل المضروب لحلول الجنود المختلطة في جزيرة كريد وهو السادس والعشرون من تموز الماضي من السنة الحاضرة، خرجت جنود الدول الحامية من الجزيرة بعد ان تركت كل دولة في مياهها دارعة لملافاة ما عساه يحدث من المشاكل على شرط ان تجري حكومة الجزيرة بعض الاصلاحات المتعلقة بالبوليس وحماية المسلمين من الاهالي

فاغتنم اهالي كريد هذه الفرصة وجاهروا بانضمامهم الى اليونان ورفعوا على الجزيرة العلم اليوناني اشارة الى ذلك فاحتجت الدولة العلية على هذا الامر ، وقام العثمانيون من كل صوب يحتجون على ذلك ، فانذرت الدول الحامية اهل الجزيرة وامرتهم بانزاله فلم يلقوا لإنذارها بالاً ، بل ظلوا مصممين على عصيانهم ، فعند ذلك زادت قواتها في مياه الجزيرة وانزلت بعض جنودها بمعداتهم وانزالت العلم بالقوة دون ان يحدث امرٌ ذو بال

ولما كان لليونان يد سرية في هذا العمل لا تخفى على احد احتجت الدولة عليها وانذرتها بالاقلاع عن دس الدسائس ، والا فانها تشهر عليها الحرب العوان وتقتحم بجنودها بلادها حتى تذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيه عوجاً ولا امتا ، وهكذا توالت الاحتجاجات من اهالي بلاد الدولة كافة على اختلاف عناصرهم واديانهم والقوا الخطب الحماسية الدالة على تلك الروح العظيمة التي بثّها الدستور فيهم . ولو حصل مثل هذا التعدي في الدور الماضي لما احسَّ بهذا الشعور احد ولما عرف بما جرى الكثيرون .

الاحتجاج على ضم كريد لليونان

وقد ابرق اهل الولايات الى مجلس الامة ونظارة الداخلية ونظارة الحربية وقائد جيش الشورى « محمود شوكت باشا » بانهم مستعدون للزحف على اليونان ان لم تعلن

رسمياً انسحابها من هذا المأزق الضيق وتصرح بانها لا علاقة لها مع الكرديين اصلاً

وقد كان الاحتجاج في مدينتنا بيروت كغيرها من البلاد شديداً حتى رأينا الشيوخ الطاعنين في السن والحماس فيهم على اشده فضلاً عن الشبان الاشداء ، وقد اقسم كثير ممن لم يخلقوا للحرب كالعلماء والكتاب والشعراء انهم يتطوّعون في الحرب حتى يوافق فعلهم قولهم

وقد بلغ جمع البيروتيين المحتشد في حديقة الحرية ثلاثين الف شخص او يزيد . وكان قد تعين للخطابة في تلك الجماهير اربعة خطباء وهم الشيخ احمد طباره صاحب «الاتحاد العثماني» وداود افندي مجاعص صاحب جريدة «الحرية» والشيخ مصطفى الغلاييني صاحب هذه المجلة وفليكس افندى فارس صاحب «لسان الاتحاد» غير انه قد اناب عنه اخاه فليب افندي لانه كان مريضاً فلم يتمكن من الحضور

ونتذكر اننا قد افتتحنا خطابنا بكلام موجز عن موقع كريد الجغرافي وشيء من تاريخها وان العرب قد ملكتها من زمن بعيد يقرب من الف ومائة وخمسين سنة وانها قد توالت عليها الغزوات من الروم الى ان امتلكها العثمانيون بدماء واموال لا تقدر . ثم استنتجنا من ذلك وجوب المحافظة عليها ولو ادى ذلك الى اهراق دمائنا . ومما نتذكر اننا قلناه : ان بوسنه وهرسك غير كريد وان زمان محمد الخامس غير زمان عبد الحميد الثاني وان زمان الاعتداء على بلادنا وتقسيم اراضينا ونهب ما اكتسبناه بدمائنا قد ذهب بذهاب الدولة الماضية وانقضى بخلع عبد الحميد وانه لو اعتدى احد على حجر من حجارة صحراء العرب لقاومناه كل المقاومة حتى نسترده او نقضي عليه قبل الوصول الى بغيته

وقد كانت خطب الخطباء على هذا النمط من الحماس والغيرة الوطنية

ثم اعقب هذه الاحتجاجات المتوالية من انحاء السلطنة اشهار مقاطعة البضائع والبواخر اليونانية

انحلال عقدة المعضلة

فلما رأت اليونان ماحلّ بها من جراء عمل الكريديين اعلنت انها لا تريد ضم كريد اليها وان اهالي الجزيرة انما عملوا ذلك من قبل انفسهم . ثم خابرت الدولة العلية بذلك رسمياً بمذكرة ارسلتها اليها . غير ان الدولة ردّت تلك المذكرة بداعي انها مبهمة وطلبت منها ان تصرح تصريحاً لا شبهة فيه فاجابتها انها صديقة للدولة العثمانية ولا تريد ان يكون بينها وبينها اقل فتور في العلائق وهكذا قد برأت دولة اليونان نفسها

وقد قرب اجل انحلال هذه العقدة . واخذت الدول تخابر الدولة العلية في شؤون الجزيرة وما يجب ان تكون عليه . والمرجح ان يعطي لها استقلال اداري كاستقلال جزيرة ساموس وجبل لبنان تحت سيادة الدولة العلية فهي جامعة لمزايا استقلال ساموس ولبنان معاً . فان الاولى لها مجلس نيابي غير ان حاكمها تعينه الدولة من غير مشورة الدول . ولبنان ليس له مجلس نيابي غير أن حاكمه تعينه بعد مصادقة الدول عليه . فكريد ستكون جامعة لمزايا الاستقلالين . وذلك بان يكون لها مجلس نيابي وان يعين حاكمها من قبل الدولة بعد مشورة الدول — وهذا يفهم من حديث للصدر الاعظم مع بعض محرري الصحف — غير انه لم يتم ذلك الى حين كتابة هذه السطور «وهو يوم الاثنين في ١٤ من شعبان سنة ١٣٢٧ و٣٠ من آب سنة ١٩٠٩» فان تم ذلك فتلك خطوة عظيمة في سبيل تقدم الامة العثمانية . وهي مزية من مزايا الدستور الذي قضى على آمال اعداء الدولة

اخذ الله بيد هذه الدولة حتى ترجع الى سالف مجدها . وتصير في مقدمة الدول الكبرى ذات الحول والطول آمين

كرد علي والارتجاعيون

محمد افندي كرد علي مشهور بين اهل الادب من قراء العربية بحريته وتفانيه في خدمة المجتمع الانساني الخدمة الصحيحة ، وليست حريته مولودة في اليوم العاشر والثالث والعشرين من تموز كما ولدت في ذلك اليوم وما بعده حرية اكثر العثمانيين بل انه قد خلق حراً ونشأ حراً وشب حراً وجاهد في سبيل الحرية اعواماً ليست بقليلة ، فقد عرفناه منذ عرفناه انه رجل كبير النفس عالي الهمة ، يبث الآراء الصائبة والافكار النيرة الحرة في كل نادٍ وكل مجتمع ، وكان يدخل في طيات احاديثه ما يختلج في فؤاده من الاصلاح وما يجب ان تكون عليه الامة من الرقي الفكري والعلمي غير هياب ولا وجل

فلما ازدادت وطأة الاستبداد وصار مرمى سهام الجواسيس خاف على نفسه ان يقع في شراكهم خصوصاً بعد ان نكب من جراء وشاياتهم بدمورهم على بيته والبحث عن كتبه واوراقه ولو لم يكن متحذراً متيقظاً باخفاء مؤلفاته ورسائله وسائر كتبه التي كانت

محظورة في نظر الحكومة البائدة لقضي عليه وعليها

فلما رأى هذه الحال وانه ان بقي في هذه البلاد لابد ان يأتيه يوم لا تنفع فيه شفاعة الشافعين هاجر باهله الى مصر على حين غفلة من الجواسيس ورجال العهد الماضي وهناك انشأ مجلة المقتبس الشهيرة التي دلت على ماله من الاطلاع وواسع العلم ، وهكذا ظلّ على هذه الحال يخدم الامة برسائله وما يكتبه في الجرائد المصرية زهاء اربع سنوات الى ان فرّج الله عن الامة وسقط الظالمون وارتفع المخلصون ، فجاء بلاده التي هي في اشد الحاجة الى امثاله من الاحرار العلماء والكتاب النبهاء ، ثم انشأ جريدة المقتبس تخدم بها دمشق خدمة تُذكر فتشكر ، غير ان عمله لم يرقْ في اعين اهل الرجعى فكانوا يتربصون به الدوائر الى ان كان ما كان من الفتنة الاخيرة فحرضوا عليه الغوغاء واوعزوا اليهم بأن يقتلوه مع كثير من اخوانه الذين هم على شاكلته من الحرية وان يهدموا له الادارة وان يحطموا المطبعة الى غير ذلك من الاعمال المنكرة غير ان الله قد رمى كيدهم في نحرهم ، ونصر الحق واهله ، وخذل البطل وذويه

ومع كل هذا فلم ينم حقد هؤلاء «الزعانف» وقد اغتنموا فرصة وجود الديوان العرفي الذي حدث لمحاكمة الحميديين من رجال جمعية «ولقان» وسائر الارتجاعيين ، فاختلقوا الاكاذيب على كرد علي افندي ليطفئوا بذلك أُوارهم ويبردوا غليل حقدهم وانتقادهم ، وكتبوا الى ذلك الديوان العادل بان صاحب المقتبس «وحاشاه من ذلك» من انصار جمعية ولقان الحميدية ، فكتب الديوان العرفي الى حكومة دمشق بالبحث عن الامر وان تفتش دار صاحب المقتبس ٠٠٠٠٠٠ فصدعت الحكومة المحلية بالامر ويا ليتها لم تفعل لانها اساءت الى سمعتها بهذ العمل ، وكان يجب ان تكتفي باخبار الديوان الحربي ان كرد علي ليس ممن تفتش دُورهم ، ولا ممن يعقل انهم اضداد الحرية واعضاد الجمعية الفسادية ٠ ولكن كان ما كان وظهرت براءة الصديق مما نسبه اليه اهل اللعنة الى يوم الدين

وقد اجتمع قبيل عظيم من انصار الحرية في دمشق واقاموا الحجة على ذلك الجاسوس اللعين ، وقد قال احدهم في خطابه : « اننا اجتمعنا لننتصر للحرية ، اجتمعنا هنا لا لنسأل رحمة بل لنطلب عدلاً وان يُجازى المفتري » وقد ابدوا من الوطنية الصادقه والحرية الصحيحة ما يذكر بالشكر والثناء

وقد قامت الصحافة العربية في كل قطر بمناصرة صاحب المقتبس وانحت باللائمة على جاسوسه الخبيث ، فدلت بعملها هذا على الاتحاد والاتفاق ومظاهرة الحق ومناهضة الباطل واهله . ولم يشذّ من ارباب الصحف الا شيخ المؤيد الذي عرف الناس كافة تقهقره وقيامه ضدّ الحكومة الجديدة التي خلعت السلطان الجائر ، فانه ذكر هذه المسألة والتشفي آخذ منه مأخذه والعداوة سائلة على اسلة القلم الذي كتب فيه تلك الكتابة الملعونة ، نعم يحق لصاحب المؤيد التشفي من كرد علي افندي لانه متقهقر يتشفى حرّ ، ولأنّ صاحب المقتبس قد اذاقه كأساً دهاقاً مرة الطعم في ذلك الميدان الذي حمل فيه على شيخ المؤيد لاجل « بيانه » الذي طبعه ووزّعه ، ولاجل كتابته المنكرة التي حمل بها على الحكومة الدستورية والجمعية الاتحادية مخلصة الوطن . وكرد علي افندي اعلم الناس بشيخ المؤيد صاحب السعادة ، لانه اختبره مدة طويلة وهو في مصر يوم كان محرراً في جريدته التي صارت الآن ساقطة عند كل عاقل حتى عامة المصريين وما ذلك الا لانه يكتب بغير عقل كتابة تدل باصرح برهان ان صاحب السعادة شيخ المؤيد رجل يناصر الظالمين ويدافع عن الطاغين السفاحين لعنة الله عليهم اجمعين

ولما علمنا بقضية الصديق وقع هذا الامر لدينا موقع الغرابة حتى اننا لم نصدق بذلك لو لم نرَ جريدة المقتبس نفسها قد اشارت الى هذا الامر المضحك المبكي معاً

وقد كتبنا اذ ذاك كتاباً مطولاً لكرد علي افندي نشره في المقتبس اليومي وكان بودنا ان ننشره في ذيل هذا المقال ليطلع عليه قراء النبراس غير ان ضيق المقام منعنا من ذلك

سوآل عن معنى الاخاء

كتب كاتب من جدة الى صاحب «الاتحاد العثماني» يسأله عن معنى قول صاحب النبراس: «اخواننا المسيحيون» في كتاب «الاسلام روح المدنية»[1] الذي رددنا به على «لورد كرومر» ما افتراه عَلَى الدين الاسلامي، ولما كان هذا السوآل مما يختص بنا دفعه الينا صاحب الاتحاد لنجيبه عليه وكنا اذ ذاك نحرر في جريدته وقد اخذنا الكتاب لنجيب السائل على سوآله، غير اننا قد سهونا عن ذلك. وقد عثرنا على هذا الكتاب في هذه الاثناء فتذكرنا اننا لم نجبه عليه، ولما كان السائل مشتركاً في «النبراس» احببنا ان نجيبه على صفحاته، وقد ذكر السائل ان هذه الاخوة مخالفة لقوله تعالى: «انما المؤمنون اخوة» وقد قال: انه سائل مسترشد لا يبغي الا تطبيق كلامنا على الآية الكريمة لما بينهما من الاختلاف في ظاهر الامر

ونقول في الجواب:

خلق الله الخلق من اصل واحد وفي وطن واحد وعَلَى دين واحد، ثم اقتضت سنة التكاثر ان يتفرقوا في هذه البسيطة كلٌّ الى جهة، فحدث من ذلك تبلبل الالسنة واختلاف الجنس النسبي والاختلاف في المعتقدات والاديان، ثم تبع ذلك الاختلاف في الحاكمية تبعاً للرقي البشري، فتأسست الدول وقامت الامارات وصار لكل قوم دولة وملك الى غير ذلك من وسائل التنافس الذي يقضي به حب استعمار الارض

---

(١) ان هذا الكتاب قد تم طبعه في المطبعة الاهلية ببيروت قبل اعلان القانون الاساسي بشهر واحد وقد انتشر اذ ذاك وتلقاه المسلمون والمسيحيون بالارتياح لما اشتمل عليه من المباحث الجليلة المهمة مع الانصاف والاعتدال، ولم يكد ينتشر حتى تلقفه جواسيس ذلك الدور البائد وحرّضوا الحكومة الاستبدادية على جمعه واحراقه وزجّ مؤلفه في اعماق السجون. لانه مكتوب بحرية تامة من حيث المباحث الدينية الاسلامية والسياسية. ولولا ان منّ الله علينا باعلان الدستور وخذلان الجواسيس لم نكن ندري باي ارض نحن الآن... والكتاب يطلب من مؤلفه ومن المكتبة الاهلية في بيروت وثمنه ستة قروش اي زهراوي واحد واجرة البريد قرش واحد صحيح «صاغ»

فنتج من كل هذه الاختلافات اختلاف الروابط التي تربط كل جنس بجنسه و كل اهل لغة باهل لغتهم واهل كل دين بابناء دينهم ، ورابطة الجنس غير رابطة اللغة ورابطة الدين غير رابطة الجنس واللغة ، و كل رابطة غير اختها ، وهناك رابطة عامة تربط الناس كلهم برابطة واحدة وهي رابطة الجبلّة ، وهي التي عنيناها في كلامنا هناك ٠

وبذلك يصح ان نسمي الناس كلهم اخواناً من حيث هذه الرابطة ولا يمنعنا من ذلك مانع من شرع او قانون ، بل ان الدين قد صرّح بذلك ٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الخلق كلهم عيال الله فأحبهم اليه انفعهم لعياله »

أما الاخوة التي اردناها في مقدمة كتابنا : « الاسلام روح المدنية » فهي غير لاخوة التي وردت في الآية الشريفة ، فاننا اردنا اخوة الجبلّة من حيث النظر الى عموم غير المسلمين ، واخوة الجبلّة والوطنية معاً من حيث النظر الى غير المسلمين الوطنيين ، واخوة الجبلّة والوطنية والعثمانية من حيث النظر الى غير المسمين الذين هم اخواننا في الجبلّة والوطنية والعثمانية ، وكل هذا يظهر من سياق كلامنا هناك ٠ واما الاخوة الواردة في الآية الكريمة فالمراد بها اخوة الدين وهي لاتختص بوطنية ولا جنسية

ولنا مقال طويل على رابطة الدين عنوانه « الرابطة الدينية او يوم الحج الاكبر » نشرناه في جريدة « الاتحاد العثماني » يوم عرفة في السنة الماضية وربما نثبته في عدد ذي الحجه القادم الذي نختم به هذه السنه تتميماً لهذا البحث الجليل وفيه بعض اجمال عن الروابط التي ذكرناها

عيد الدستور

لشاعر مصر حافظ افندي ابراهيم

اجلْ هـذه اعلامه ومواكبهْ   هنيئاً لهم فليسحب الذيل َساحبهْ

هنيئاً لهم فالكون في يوم عيدهم   مشارقهُ وضاءَةٌ ومغـاربه

رعى الله شعباً جمع العدل شمله وتمت على عهد الرشاد رغائبه
تحالف في ظل الهلال إمامه وحاخامه بعد الخلاف وراهبه
خذوا بيد الاصلاح والامر مقبل فاني ارى الاصلاح قد طرّ شاربه
وردوا على الملك الشباب الذي ذوى فاني رأيت الملك شابت ذوائبه
فمن يطلب الدستور بالسوء بعدما حمتهُ يد الفاروق فالله طالبه
اذا «شوكت» الفاروق قام منادياً الى الحق لباه «نيازي» و«صاحبه»
ثلاثة آساد يجانبها الردى وان هي لاقاها الردى لاتجانبه
يصارعها صرف المنون فتلتقي مخالبها فيه وتنبو مخالبهُ
روت قول بشار فثارت واقسمت وقامت الى عبد الحميد تحاسبه
«اذا الملك الجبار صعَّر خده مشينا اليه بالسيوف نعاتبه»
وسار على اعقابها كل سابح على متنه برج مشيد يداعبه
يصيح به «لاريّ» او نبلغ المنى و«لاشبع» او يُرجع الحقّ غاصبه
هنالك فانهلْ واتخذ ثمّ مربطاً يلدز واُحمد في الوغى من تصاحبه
رجال من الايمان ملأى نفوسهم وجيش من الاتراك ظمأى قواضبه
صوالجه سمر القنا وكراته رؤُوس الاعادي والحصون ملاعبه
اذا ثار دُكّت اجبلٌ وتخشعت بحار وامضى الله ما هو كاتبه
وثُلّت عروش واستقرت ممالك ولو ان ذا القرنين فيها يناصبه
فمن لم يشاهد يلدزاً بعد ربها وقد زال عنه الملك واُندكّ جانبه
واسلمه احبابه لقضاته وفرّ ولم يخشَ المعرّة كاتبه
وقلّمت الاقدار اظفار بطشه ودل على ما تجهل الجنّ حاجبه

* * *

فما شهد الدنيا تزول ولا رأى بلاء قضاء الله فيمن يحاربه

أُبيح حماها وانطوى مجد ربها — وقامت على البيت الحميدي نوادبه
ولم يغنِ عن عبد الحميد دهاؤه — ولا عصمت عبد الحميد تجاربه
ولم يحمهِ حصنٌ ولم ترمَ دونه — دنانيره والامر بالامر حازبه
ولم يخفهِ عن اعين الحق مخدع — ولا نفق في الارض جمٌّ مساربه
اقام عليه مهلكاً عند مهلك — يمرُّ به روح الصبا فيواثبه
تحاماه حتى الوهم خوف اغتياله — فلو مسه طيف لدارت لوالبه
واسرف في حب الحياه فحاطها — بسور من الاهوال لم ينجُ راكبه
ففي كل قفل للمنية مكمن — وفي كل مفتاح قضاءٌ يراقبه
وفي كل ركن صورة لو تكلمت — لما شك في عبد الحميد مخاطبه
تماثيل ايهام أُنيمت وأقعدت — تراآى بها اعطافه ومناكبه
تُمثّله في نومه وجلوسه — وتخدع فية الموت حين يقاربه
اقام عليه الف موت محجب — ليغلب موتاً واحداً عزّ غالبه
سلوه أأغنت عنه في يوم خلعه — عجائبه او احرزته غرائبه
وقد نزل المقدار بالامر صادعاً — وضاقت على شيخ الملوك مذاهبه
واخرجه من يلدزٍ رب يلدزٍ — وجرده من سيف عثمان واهبه
واصبح في منفاه والجيش دونه — يغالب ذكرى ملكه وتغالبه
يناديه صوت الحق ذق ما اذقتهم — فكل امريءٍ رهن بما هو كاسبه
همُ منحوك اليوم ما انت مشتهٍ — فردٌ لهم بالامس ما انت سالبه
ودع عنك ما أملت ان كنت حازماً — فلم يبقَ للآمال فضل تجاذبه
مضى عهد الاستبداد واندكَّ صرحه — وولت أفاعيه وماتت عقاربه

* * *

لك الله يا تموز انك بلسم — لجرحي الاسى والدهر تعدو نوائبه

فكم رعت جباراً وارهقت ظالماً وانصفت مظلوماً توالت مصائبه
فديناك من شهر اغرّ محجل اوائله ميمونةٌ وعواقبه
تقابله الاعياد في الارض كلما تجلى هلال الشهر او لاح حاجبه
ففي الغرب عيد ينظم الغرب حسنه فتهتزُّ من وقع السرور جوانبه
وفي الشرق عيد لم يرَ الشرق مثله تدفقُ في دار السلام مواكبه
يطوفون بالعرش الكريم وربه تطيف بهم آلاؤه ومناقبه
لتهنأ امير المؤمنين محمداً خلافته فالعرش سعدٌ كواكبه
ستملك امواج البحار سفينةُ كما ملكت شمّ الجبال كتائبه
ممالكه محروسة وثغوره ركائبه منصورةٌ ومراكبه

العام الاول للدستور

مضى العام الاول على اعلان القانون الاساسي في البلاد العثمانية فكان مسرحاً للسرور والاكدار والنوائب والافراح ، اذ لم يمضِ على العثمانيين وهم في نشوتهم وحبورهم مدة حتى حدث ما كان في الحسبان عند كل عاقل مفكر

لم يكد الدور الجديد يضع قدمه في بلاد الدولة العلية حتى وقف في وجهه عقبتان كؤودان صدّاه عن تثبيتها والسير نحو اصلاح هذه المملكة الفاسدة ورتق الخلل الذي احدثه السلطان المخلوع واعوانه الخونة اللئام

حدثت مشكلة البلغار وبوسنه وهرسك ابان الفوضى الداخلية التي توجد في كل مملكة يحدث فيها ماحدث في المملكة العثمانية من قلبها رأساً على عقب واستبدال الحكومة المقيدة بها ، فشغلت الحكومة الجديدة بهاتين المشكلتين عن الاصلاح الذي كانت تنويه ، ثم انتهى الامر بمنح البلغار الاستقلال التام على شروط رضيت بها

الدولتان ، ثم دخلت بلاد بوسنه وهرسك تحت سيطرة النمسا بعد الاتفاق على ان تدفع للدولة العلية تعويضاً عنهـا قدره مليونا ليرة ونصف مليون ، وهكذا انحلت عقدتا البلغار و بوسنة وهرسك ، وكان ذلك من باب تصفية الديون التي تركها لنا الدور البائد وحملنا اثقالها حتى ارهقنا

وكان ارباب الرجعى ممن سقطوا بسقوط حكومة الاستبداد او مُنع عنهم ما كانوا ينالونه من دماء الامة كامنين كمون النار تحت الرماد ، كما قال الشاعر :

ارى خلل الرماد وميض نار ويوشك ان يكون له ضرام

اجل لقد كان كذلك فان هؤلاء اللئام المتقهقرين الذين نجوا من النفي او السجن وكانوا يترقبون الفرص ويتحيَّنون الوقت المناسب لينقضوا على الدستور وناصريه ويمزقوهم كل ممزّق ، فكان اكبر ناصر لهم ومشجع على اعمالهم رئيس المتقهقرين وعميـد الرجعيين عبد الحميد السلطان المخلوع ، فانه لم يرُقْ لديه ان يتنزل عن سلطته الاستبدادية ويدع الامة تحكم نفسها بواسطة ممثليها النائبين عنها في مجلس الامة — فصار يتظاهر بانه رئيس الاحرار وعميـد الدستوريين ، ولكنه كان يعمل الدسائس خفية للقضاء علي القانون الاساسي واهلاك من كانوا السبب في اعلانه او الذين انضموا اليهم واخذوا بناصرهم ، فاغتنم فرصة تشكيل الجمعيات الكثيرة واخذ بواسطة اعوانه يلقي البغضاء والنفور بين هذه الجمعيات ليتمكن مما ينويه من ايقاع الشرور وارجاع سلطته المفقودة فتمَّ له ذلك خصوصاً بعد ان قام بين فرقة الاحرار وجمعية الاتحاد والترقي مخلصـة الوطن ما قام من الاحن والعداوة ، ولاشك انه كان سببَ هذا النفور بينهما

قام بين هاتين الجمعتين خصام دائم ونفور مستمر ، وكانت حريدة « سربستي » الملعونة لسان حال فرقة الاحرار توغر الصدور وتشنُّ الغارة علي الاتحاديين وتخلق عليهم الاكاذيب لتنفر الناس منهم ، وكانت تتقاضى على هذا العمل ما الله به عليم من اموال عبد الحميد

فلما تمّ له ما اراد من ايقاع ذات البين بين الجمعيتين اوعز الى اعوانه بان يؤلفوا جمعية دينية تكون سبباً لصرف وجوه العامة اليها ثم تتخذهم آلة لغرضه السافل ، فيقوموا قومة رجل واحد لارجاع المطلق البائد ، فتمّ له ذلك وألفت جمعية باسم « الجمعية المحمدية » التي أسميها انا الجمعية الحميدية ويسميها الديوان العرفي الجمعية « الولقانية » باسم جريدتها . وقد وزع عليها عبد الحميد بواسطة رجاله الليرات الوافرة ، وقد استهوت كثيراً من الجنود باسم الدين وبالاصفر الرنان الى ان كان ما كان من الفتنة الاخيرة كما فصلنا ذلك في العدد الخامس من النبراس

وقد زاد في طينة هذه المشكلات بلةً ماحدث في بعض البلاد العثمانية من المذابح العظيمة التي اثارها الجهل بايدي الدسائس الحميدية ، زد على ذلك ما حصل في بعض الانحاء التي لم يرُقْ لديها الحكم الدستوري اما للجهل به او لايهام اصحاب النفوذ البسطاء بان الدستور يناهض الدين او يضر بمصالحهم

وقد انتهت هذه الفتن الحميدية بخلع ذلك الطاغية واهلاك رجاله الخائنين ، فاستبشرت عند ذلك الامة واملت بعد سقوطه الخير العميم والرقي في معارج الفلاح والنجاح

ومما اعان عَلَى إسكان ثائرة الفتن والمذابح في استانة وسائر البلاد اعلان الحكم العرفي وابادة جراثيم الفساد ، فيا له من حكم عادل اقرّ عليه الشرع ورضيت به قوانين الامم ، فانه خير وسيلة لقمع الثورات وانجع دواء لاهل الرجعى والذين يسعون في الارض الفساد

ثم لم تكد الامة تتمُّ افراحها وتعلن سرورها بخلع عبد الحميد وخمود نيران الفتن حتى اغتنمت « اكريت » هــذه الفرصة واعلنت انضمامها الى اليونان ورفعت العلم اليوناني ، غير ان عملها هذا لم يرُقْ لدى الدول ولم ينل منها الرضا ، فوقعت الدولة العلية في مشكلة جديدة حتى حارت في امرها . وقد ظن اهل « اكريت » انهم يفلحون بهذا العمل العصياني وان الدولة ترضى في مقابل انضمام الجزيرة الى اليونان بمال

يدفع اليها ، كما حصل في بوسنه وهرسك ، غير انهم نسوا أنَّ الدولة في عهد محمد الخامس غيرها في عهد عبد الحميد ، وان الحكومة والأمة متفقان على بذل كل مرتخص وغال في سبيل ابقاء سيطرة الدولة عَلَى الجزيرة التي هي بمنزلة الروح من جسم الدولة

كل هذه الفتن كانت سبباً في ايقاف دولاب الاصلاح وداعياً لتأخر التجارة والاشغال وعدم الثقة من الاجانب ، فازداد سوء حال الدولة. غير ان الثقة قد رجعت الى نصابها بعد ان استتب الامن وحفظ مركز الدولة من الرجوع في الحافرة ، واخذت الاشغال والتجارة في التقدم ، وذلك مما يبشرنا بمستقبل حسن للدولة ان شاء الله

وهكذا قد مضى العام الاول على الدستور بين خوف ورجاء وفناء وبقاء

العام الجديد

وقد استقبلت الأمة عامها الجديد بالهتاف والسرور والفرح ، فقد كان اليوم العاشر والثالث والعشرون من شهر «تموز» مسرحاً للخطباء والشعراء ولسائر رجال الأمة ، وكانت الزينات منتشرة في كل شارع وحيّ من بلاد الدولة كافة ، وكان البشر والحبور طافحين على وجوه الأمة «عدا الرجعيين» فما كنت ترى الا وجوهاً ضاحكة وقلوباً مستبشرة ، والكل يتحدثون فرحين بانتصار رجال الدستور عَلَى اعداء الحرية والنور ، ويتغنون بالهتاف للجيش والحرية والسلطان الدستوري ، ويذكرون فوائد الدستور على البلاد العثمانية :

فما ترى الا قلوباً له ترنو كاسراب القطا الشُّرَّعِ
قد رفرفت من حوله وُلَّهاً رفرفةَ الطير على المشرعِ (١)

وقد جدَّدت فيه العناصر المختلفة عهود الاخاء والوداد ، وشدوا اواصر المحبة ، واظهروا من النشوة بخمرة هذا اليوم السعيد ما يعجز القلم على وصف اقل معشاره

وكيف لا يظهرون فرحهم في هذا اليوم المبارك وقد نالوا فيه حريتهم ، وخرجوا

---

(١) البيتان لمنشئ النبراس

من سجون الاستعباد الى فضاء الحرية ، و كسروا عن عقولهم تلك الاغلال وفكوا عن السنتهم وقوائم عقولهم سلاسل الاستبداد ، اعاد الله على الامة امثال هذا العيد السعيد وهي راتعة في بحبوحة الحرية ، متفيئة في ظلال الأمن والدستور ، آمين

وقد نظم صديقنا الشيخ محمد افندي شاكر ياسين بمناسبة مرور هذا العام على اعلان القانون الاساسي قصيدة غراء سماها : « السرور العام لمرور العام » . قال في مطلعها :

كوكب العدل علينا سطعا وغمام الظلم عنا انقشعا
وبشير الفوز بالبشرى سعى ورسول الحق للشورى دعا

ومنها في وصف المخلوع :

حنث الغاشم في ايمانه والى ارجاع ماضيه سعى
فأعدَّ الثورة الكبرى التي ملأت كل فؤاد فزعا
ثورة عاد عليـهِ شؤمها وعليـهِ شرها قد وقعا
اسفرت عن خلعه المرّ الذي قد حلا في كل قلب موقعا

ومنها

ادرك الملك رشاداً حينما « لرشادٍ » فيه حقاً بويعا
ملك جدّد ذكرى جدّه فرجونا الخير فيه اجمعا

ومنها

سنة يا شرق مرّت فخلت بعدان مرّت وساءت مرجعا
فسلِ المحكوم ماذا صنعا وسل الحاكم ماذا استصنعا
قد رضينا بدلاً عن هرسكٍ وعن البوسنه بمالٍ دُفعا
غير انا عن كريد لا نرى بدلاً الا الظُبا والمدفعا

جرائد وكتب جديدة

الحرية : جريدة سياسية ادبية اخبارية تصدر كل اسبوع مرة واحدة وهي ذات ست عشرة صفحة بحجم النبراس لصاحبها ومديرها المسؤول صديقنا داود افندي مجاعص ، ويساعد في تحريرها الشيخ اسكندر العازار والدكتور اسعد افندي عفيش والسيد حسين وصفي افندى رضا وجرجى افندى نقولاباز . وشعارها « الحرية حزب للحق على كل حزب » وفيها ابحاث شريفة وموضوعات مهمة اكثرهامدبج بيراع صاحبها وقيمةالاشتراك في « الحرية » خمسة فرنكات في البلاد العثمانية وثمانية في خارجها

الحسناء : مجلة نسائية علمية ادبية تاريخية اخلاقية اجتماعية لمنشئها جرجى افندى نقولاباز ، ويساعد في تحريرها نخبة من السيدات والاوانس ، وهي تصدر مرة في الشهر موقتاً في ٣٢ صفحة ، وبدل اشتراكها عشرة فرنكات في بيروت واثنا عشر فرنكا في خارجها ، وهي مكتوبة بقلم سهل لطيف . فيجدر بالسيدات مطالعتها والاشتراك فيها اذ هي اول مجلة صدرت في بيروت بل في القطر السوري تُعنى بشؤون الجنس اللطيف وتبحث فيما يعود عليه بالنفع والرقي

النعمة : مجلة دينية علمية اخبارية تصدرها البطريركية الانطاكية الاثوذكية في دمشق ، وهي تصدر في منتصف وآخر كل شهر موقتاً ، وفيها عدا المباحث الدينية موضوعات تاريخية وتهذيبية لذيذة ، وقيمة الاشتراك فيها ريال مجيدي ونصف في دمشق وريالان في الممالك العثمانية وخمسة عشر فرنكاً في الخارج

الكوثر : مجلة علمية فنية سياسية تصدر في بيروت غرة كل شهر قمري في ٤٨ صفحة لصاحبها ومحررها بشير افندي رمضان وهي مشتملة على موضوعات جمة ومباحث مفيدة ، وبدل اشتراكها ريالان مجيديان في بيروت وريالان ونصف في سائر الولايات العثمانية وخمسة عشر فرنكاً في الخارج

الاصلاح الحجازي : جريدة سياسية ادبية تجارية تصدر عن جدة مرة في الاسبوع لصاحب امتيازها ومديرها راغب افندي مصطفى توكل ومحررها اديب افندي داود هراري، وبدل اشتراكها نصف ليرة عثمانية في جدة ونصف ليرة انكليزية في سائر البلاد

الحكمة : جريدة اسبوعية لبنانيه تصدر عن « جبيل – لبنان » لمنشئها وصاحب امتيازها سليم افندي وهبه . وهي ذات ثماني صفحات بالقطع الكبير. وبدل اشتراكها في لبنان وبيروت ١٠ فرنكات وفي سائر الجهات ١٥ فرنكاً

النجوى الى نساء سوريا : هو كتيب في ١١٢ صفحة انشأه صديقنا فليكس افندي فارس صاحب جريدة « لسان الاتحاد » وقد بحث فيه بحثاً مدقق بحثاً فلسفياً اجتماعياً باسلوب شعري لطيف وقد اودعه خلاصة آرائه وابحاثه في المرأة السورية وما يجب ان تكون عليه من الاخلاق والعادات لتكون سعيدة في حياتها ناجحة منهج السداد في اعمالها . وهو مطبوع طبعاً جيداً على ورق صقيل جيد ومصدر برسم مؤلفه – وهو يطلب من ادارة جريدة المؤلف في بيروت

مناجاة الحبيب في الغزل والنسيب : لجامعه بشير افندي رمضان منشىء مجلة الكوثر وهو الكتاب الذي حجزته الحكومة الاستبدادية في الدور الماضي وقد اعاد جامعه طبعه في هذه الآونة وهو مشتمل على ما رقّ من القصائد والمقطعات الغزلية، ويطلب من المكتبة الاهلية وسائر مكتبات بيروت وثمنه بشلكان ونصف

الابهاج في قصتي المعراج : هي مزدوجة نظمها الشيخ عبدالله افندي العلمي احد علماء غزة ونزيل بيروت، وقد اخذ الناظم على نفسه ان يكون كل مصراع ثالث مخمس آية قرآنية، وهو يطلب من المكتبة الاهلية في بيروت وثمنه بشلك واحد

الاجوبة المرضية عما اورده كمال الدين ابن الهمام على المستدلين بثبوت سنة المغرب القبلية : تأليف صديقنا الشيخ محمد جمال الدين القاسمي احد علماء دمشق، وقد بحث في هذه المسألة بحث مدقق حتى اثبت بالادلة ان للمغرب سنة قبلية، والرسالة تقع في ٣٦ صفحة وهي تطلب من مؤلفها في دمشق

معنى الحياة : تأليف السر جون لبك سابقاً واللورد افبري اليوم احد اعضاء مجلس الاعيان الانكليزي، وقد عرّبه بتصرف وديع افندي البستاني . ب . ع . والكتاب فيه ابحاث فلسفية واجتماعية لطيفة، فيجدر بكل شاب اقتناء هذا الكتاب والاستفادة مما حواه من المباحث والفوائد وهو مصدر برسم صديقنا سليمان افندي البستاني نائب بيروت في مجلس الأمة ومهدي اليه. ويشتمل على ١٥٨ صفحة صغيرة ويطلب، من مكتبات بيروت

عبرة وذكرى او كلمة حول الشورى : انشأه صديقنا الدكتور ايوب افندي ثابت . وقد صدره بقوله «الحقيقة لن تقال لا ان تُعلم» وبقوله : الحقيقة في الابحاث كالمبضع في الاورام كلاهما جارح ، انما لا عبرة بما يحدثان من شدة الالم ، فان نفس هذا الالم هو اسرع شافٍ للداء وخير العلاج ما اسرع في الشفاء» والكتاب يقع في ٥٧ صفحة كبيرة تشتمل على عدة مقالات و بعض قصائد في موضوعات جميلة ومفيدة كان كاتبها قد نشر اكثرها في الجرائد المحلية ، وقد نالت استحسان الكتاب والباحثين ثم جمعها وعلق عليها بعض الحواشي ونشرها على حدة وحبس ريعها على شهداء الحرية وجرحى الجيش الدستوري الزاحف ، وهي تطلب من مكتبات بيروت ومن نادي جمعية الاتحاد والترقي في الثغر

ارواح الاحرار : على اثر اعلان القانون الاساسي الف المرحوم الشيخ نسيم افندي العازار هذه الرواية ومثلها في بيروت بضع مرات فحازت الاستحسان من كل من حضر تمثيلها وقد طبعها مؤلفها قبل وفاته ، وهي تطلب من المكتبة الجامعة لصاحبها رزق الله افندي سركيس في بيروت وثمنها خمسة قروش

الكلام المنظوم : جميل صدقي افندي الزهاوي البغدادي احد افراد شعراء العربية النوابغ ، مشهور بالاسلوب العربي والمعاني الفلسفية والاجتماعية والعصرية ، ويذكر قراء النبراس تلك القصيدة العصماء التي نشرناها له في الجزء الثاني تحت عنوان : « النادبة والعدل » وقد طبع اليوم القسم الاول من ديوانه في المطبعة الاهلية في بيروت طبعاً جيداً على ورق ابيض صقيل وقد طالعناه فاذا فيه الشعر الرائق الراقي و يقع هذا القسم في ١٨٨ صفحة بالقطع المتوسط ، وهو يطلب من المكتبة الاهلية في بيروت وثمنه اربعة قروش

ومما اشتمل عليه الديوان قصيدة غراء نظمها في ايام الاستبداد بعد ارجاعه مخفوراً من الاستانة الى بغداد ، وقد صوّر فيها مالاقاه في دار السعادة وما قاساه من الم فراق اخوانه الذين نفوا معه كلٌّ الى بلد ، وقد جاء في القصيدة ابيات يصف بها جواسيس استانة الذين كانوا منتشرين فيها انتشار الجراد ، وهي :

ولما رأيت الغدر في القوم شيمة	وأن مجال الظلم فيهم موسَّعُ
وان الكلام الحقَّ يُنبذ جانباً	وان اراجيف الوشاية تُسمع
خشيت على نفسي فازمعت رجعةً	الى بلدي من قبل أنيَ أصرع
وهل راحةٌ في بلدة نصف اهلها	على نصفه الثاني عيونٌ تطلَّع
ولكنني لما تهيأت صدَّني	عن السير « بوليس » ورائيَ يهرع
فقلت لهم ماذا تريدون من فتى	يعود لارضٍ جاء منها و يرجع
بأيِّ كتاب أم بأية حجة	أصدُّ مهاناً عن طريقي وأمنع
فما نبسوا لي بالجواب وانما	أعدُّوا جواسيساً ورائي تتبَّع

فعقَّبني في كل يوم وليلة الى الحول من تلك الجواسيس اربع
تراقب افعالي وكلَّ عشيةٍ الى «يلدز» عني التقارير ترفع

تركيا الجديدة وحقوق الانسان: كتاب يقع في ١٥٤ صفحة انشأه جميل افندي معلوف وطبعه في مطبعة المناظر في «سان باولو — البرازيل» وجعله تقدمة للامير صباح الدين. والكتاب يشتمل على ستة كتب: الكتاب الاول في اسباب الانحطاط في الشرق. الثاني في تفرنج الشرقيين. الثالث في التعليم. الرابع في القانون الاساسي. الخامس في الديانة والسيامة. السادس تحت عنوان: أبقاء ام فناء. ثم يلي الابواب فصل في حقوق الانسان. ثم ملاحظات متفرقة. وهو مكتوب بقلم مملوء غيرة وحرية خصوصاً الكتاب الثالث في التعليم

تاريخ التمدن الحديث: اهدتنا ادارة مجلة الهلال الزاهرة هذا الكتاب النفيس الذي الفه شارل سنيوبس العالم الاجتماعي الفرنساوي، وقد ترجمه بالعربية «الكاتب المحجوب» ترجمة خاصة بادارة الهلال. والكتاب يشتمل على موضوعات مفيدة ومهمة كالبحث في نشوء الدول الحديثة باوروبا في القرن الثامن عشر وفي نظام الاستعمار في ذلك القرن وحركات الاصلاح فيه والثورة الفرنساوية واسبابها وعلاقتها باوروبا والنزاع بين اوروبا ونابليون وارجاع الملكية لها وتاريخ الحكومات الدستورية. وحكومة فرنسا في سنة ١٨٤٨ الى سنة ١٨٧٥ وتغيير اوروبا بعد سنة ١٨٤٨ وانحلال الدولة العثمانية. والعالم الجديد والاروپيون خارج اوروبا. وفصول في الزراعة والصناعة والتجارة وفي الاصلاح الاقتصادي والديمقراطية والتعاليم الاشتراكية. وكل ذلك باسلوب فلسفي اجتماعي يلذ ويفيد. وربما ننقل لقراء النبراس شيئاً من فوائده في الاعداد الآتية. وعدد صفحاته ٣٠٨ صفحات، وهو مزين بالرسوم. ويطلب من ادارة الهلال بمصر وثمن النسخة عشرون قرشاً واجرة البريد ٣ قروش

تحية الدستور العثماني: هي قصيدة غراء نظمها محمد امام افندي العبد الشاعر المشهور ونشرها في كراسة محمد افندي شفيق المحرر بجريدة مصر الفتاة. قال في مطلعها:

كل شيء الى مدى وانتهاء دحض الحق حجة السفهاء
انجم كالظنون اطلعها الافق — ولم يدرِ أنها في الخفاء
هامت الناس بالظهور لما سجد الخلق للمليك المرائي

ومنها

ورأوا في الرياء ملكاً عظيماً اي ملك سياجه من رياء

وقال في ختامها:

واتحاد القلوب يذهب بالحقد — وينسي الانام ذكر العداء

من عصر تنمّر الشرّ فيه كان فيه الكريم عبد الاماء
لا وفاء ، لا ذمة لا اتحاد لا رضاء بحكمة القدراء
امل ضائع وفكر سقيم وفؤاد في ساحة الاهواء
تمّ امر الآله والظلم ولّى كل شيء الى مدى وانتهاء

« حاشية وفكاهة » ان هذا الشاعر هو من اخواننا السود الالوان . وقد روى لنا احد الاصدقاء لما كنا نطلب العلم في الجامع الازهر في مصر سنة ١٣٢١ للهجرة أن بعضهم لامه على عدم تزوجه فانشده هذين البيتين :

يا خليلي وانتَ خير خليل لا تلمْ راهباً بغير دليل
انا ليل وكل حسناء شمس فاقتراني بها من المستحيل

خمسة دواوين العرب : اشتهرت المكتبة الاهلية في الثغر على حداثة عهدها باقتناء الكتب النفيسة على اختلاف موضوعاتها ثم اخذت على عاتقها السعي وراء طبع الكتب النافعة وقد اتمت طبع عدة كتب . واخر ما اتحفتنا به هذه الدواوين النفيسة لخمسة من اشهر الشعراء في الجاهلية وصدر الاسلام وهم النابغة الذبياني . عروة بن الورد . الفرزدق . حاتم الطائى . علقمة الفحل . وثمن الاول ٣ قروش والثاني قرشان والثالث ٣ قروش والرابع قرش وربع والخامس ٢٥ بارة وثمن المجموعة برمتها ثمانية قروش . فيجدر كل من اراد ان تكون له ملكة في الادب والشعر اقتناء هذا الاثر النفيس هذا ولنا كلام على بعض المؤلفات التي ذكرناها وموعدنا بذلك الاعداد الآتية

حديث

هاشم بن يحيى
او
شقاء الشبان

بقالب رواية خيالية اخلاقية تهذيبية ادبية تأليف منشيء « النبراس »

تابع حديث الجلسة الثانية

الشيخ — : لا بدّ ان يثأروا منا ، لأنهم لا انصاف عندهم ، وان الدين رسمي بينهم ، وان شئت فقل : هم منسوبون للدين جغرافياً حسبُ ، وهم اشدُّ سفهاً وفحشاً وفسادَ اخلاق من ابناء هم . الم تعلم ان الثمرة تأتي على حسب الشجرة ، فمتى طاب المثمر

طابت الثمرة ، والعكس بالعكس . فالنشء يربى على ما وجد عليه آباءه ، فيتطبع بطباعهم ، وتنغرس فيه اخلاقهم فتثمر كما تقتضيه من خير او شر

قال راوي الحديث : قال هاشم بن يحيى :

ثم صممنا العزم على الفرار من الحي ، فلم نخط بضع خطوات حتى دهمنا القوم من كل جانب وبايديهم العصي والسياط والخناجر والمسدسات ، فما زالوا بنا ضرباً ولكماً حتى بلغت الروح الحناجر ، وكدنا نكون في عداد الاموات ، ولم يبق في جسمنا قيد اصبع الا وفيه ضربة من سوط او اثر من عصا ، ولم نزل على تلك الحال نستغيث فلا نغاث ، ونسترحم فلا نُرحم ، حتى اشرفنا على الهلاك ، ووقفنا على شفا حفرة من الدمار ، ولولا ان منّ الله علينا بقوم خالطت قلوبهم الرحمة لذهبنا كأمس الدابر لا محالة ، فقد انتشلونا من بينهم وأقصوهم عنا . وقال رجل منهم : حسبكم ايها الهمج الرعاع ، اليس فيهم رجل رشيد ذو رأي حميد وفكر سديد يدافع عن هذين الرجلين؟ بل اين الدين الذي تزعمون ؟ فلو أنّ لي بقومي قوةً او آوي الى ركن شديد ، لاخذت بنواصيكم ، وأنلتُ كل واحد منكم مائة ضربة او تزيد

قال هاشم بن يحيى : وبينا كان الرجل يؤنبهم على هذا العمل المنكر اذا برجال الشرطة « البوليس » فسألوا عن الواقعة ، فقال اولئك القوم الاسافل : ألم تروا هذين الرجلين ؟ فقد دخلا بيت فلان وانتهبا منه ما استطاعاه من الحلي والدراهم ، ولولا ان ادركناهما وانتزعنا ما بأيديهما لذهبا به الى حيث لا يعلم الا الله

فقال رئيس الشرطية لمن معه : هلموا بهما الى السجن لينالا جزاء ما جنته ايديهما

قال هاشم : فلما سمعت هذا الكلام : حسبت ان السماء قد أُطبقت علينا ، وتمنينا ان لو قُتلنا دون اسناد مثل هذا المنكر الينا . وجعلت اقسم لرئيس الشرطة اننا براء مما نسبوه الينا فلم يصدق ، وأنى له ان يصدق وقد اجمع امر القوم على ذلك ؟ اما الذين خلصونا من ايديهم فاستفردني احدهم وانفرد بالشيخ رجل آخر وسألونا عن

الامر ، فكان كلام كل واحد منا مطابقاً لما جاء بهِ الآخر ، فعلموا اذ ذاك ان الامر مختلق ، وأن القوم ظالمون بنسبة ذلك الينا ، وأنهم انما اتهمونا كي يخلصوا من جزاء اعتداءهم علينا . فقالوا لرئيس الشرطية : ان الرجلين بريئان مما نسب اليهما ، فكاد الرئيس يركن الى قولهم لولا ان اعترض رئيس اولئك الاشرار بانه لايجوز لك تركهما فان فعلت نرفع الامر للرئيس الاكبر فتنال منه ما تستحق ، فانهما سارقان ، وربما كان هؤلاء المدافعون عنهما من احزابهما والدافعين لهما على هذا العمل ، بل اننا نحقق ذلك . ثم شهد شاهد امام رئيس الشرطة وقال : اني رأيت بالأمس هؤلاء القوم المدافعين عنهما معهما في المحل الفلاني وهم يتخافتون ، فأصغيت لما يقولون فلم اسمع سوى اصوات ضعيفة غير مفهومة ، فمكثت قليلاً ، ولما هممت بالرحيل سمعت احدهم يقول : بل في بيت فلان فانَّ فيهِ حلياً كثيراً

فلما سمع الشيخ كلامه ثارت فيه سورة الغضب وقال : خفْ ربك ايها الرجل ولا تقل بهتاناً من القول وزوراً ، اسألك بربك : ان صح ما تدَّعي فكيف جاز لك ان تستمع الى حديثنا ؟ الم تعلم ان ذلك مما حرَّمه الله تعالى ؟ وقد جاء في الحديث : « من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صُبَّ في أُذنيهِ الآنك (١) يوم القيامة » خفْ ربك في قوم بريئين ، ألم تعلم ان شهادة الزور من اكبر الكبائر واعظم الذنوب ، فان الدنيا لا تغني عن الآخرة شيئاً ، ولو انها تساوي عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها شربة ماء ، ولكن ماذا اقول في زمن فسق ابناؤُه عن الحق واتبعوا الهوى ، فلو تأملوا في العواقب امنوا من المصائب :

تأملْ ايها الانسان فيما ... تؤُول اليه في يوم القيامهْ
ولا تغترَّ بالدنيا فتشقى ... فحبُّ المرءِ دنياهُ ندامهْ (٢)

وقد جاء في الحديث الشريف : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين

(١) الآنك : الرصاص المذاب (٢) البيتان لمنشيء « النبراس »

يلونهم ، ثم يجيء اقوام تسبق شهادةُ احدهم يمينَه ويمينُه شهادتَه » وفي حديث آخر: «الا أُنبئكم باكبر الكبائر : ثلاثاً ،قالوا : بلى يارسول الله ، قال: الاشراك بالله وعقوق الوالدين،وجلس وكان متكئاً فقال: الاوقول الزور،فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت»

ايها القوم ان لم يكن في قلوبكم مثقال ذرة من ايمان ، أفليس فيكم ذرة من المروءة والشرف . راجعوا احلامكم،وو بخوا ضمائركم،وعاملوا الناس بما تحبون ان يعاملوكم به . وان كان للدين بينكم ذكر فحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا،وارجعوا عن امرٍ فيه الخسران والوبال

قال هاشم : فلم يزدهم كلام الشيخ الا عتوًّا ونفوراً ، وانتهروا رئيس الشرطة واوعدوه سوءَ العذاب ان لم يأْخذ بنا الى السجن ، فنصح لهم بان يرفقوا بنا اذ قد تبين له اننا براءٌ مما وصمونا به ، فلم ينتصحوا بل لجّوا في عتوّ ونفور ، فقال الرئيس عند ذلك وكان من اهل المروءة والدين والنجدة : حسبنا الله ونعم الوكيل . ثم التفت الينا وقال : امشيا معي الى دار الحكومة وسأُعينكما على هؤُلاء القوم الطغام . فقلنا ذلك اليك والله المستعان على ما تصفون

ثم مشينا معه والجنود محيطة بنا ، والرجال والاولاد من خلفنا وامامنا وعن ايماننا وشمائلنا ، وبينا نحن نسير اذ اوعز بعض الاشرار لنفرٍ من الجنود بان يضربنا ففعل فاستغثنا رئيس الشرطة فغاثنا وأنّب الجندي عَلَى عمله واوعده الشر . فلما كنا في دار الحكومة اودعونا السجن الى ان يحضر الرئيس الاكبر، صباح الغد . وقد بتنا تلك الليلة على احرّ من الجمر وامرّ من الصبر . ثم التفت اليّ الشيخ وقال : يا هاشم ان هذه غلطتك التي غلطتها وقانا الله شرّها واعاذنا منها

فقلت له : علمتُ والله أن التسرُّع في العمل مدعاة لعدم النجاح ، ومجلبة في اكثر الاحايين للويل وسوء المنقلب ، وأن الرفق والتأني والتؤدة داعية الفوز ونيل الأُمنية ، ورائد السعادة والخير في كل عمل ، فانا اندم على مافات ولات ساعة مندم

« البقية للآتي »